

د/ ابولبابه الطاهر حسين

الاستاذ المساعد بقسم السنة وعلومها بالكلية

(٠) شارك المؤلف بهذا البحث في ملتقى الفكر الإسلامي السادس عشر المنعقد بتلمسان (الجزائر) فى صائفة ١٩٨٢م.

من أخطر المحن التي مرّ بها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي محنة الوضع ، ذلك أن خصوم الإسلام لم يجدُوا مَنْفَذاً لدسائسهم وأحقادهم إلاّ عن طريق الحديث فأشبعوه أكاذيب استغرق تخليصُها جهودَ العديد من جهابذة العلماء عبر عقود من السّنين بعد أن عجز هؤلاء الخصوم عن مطاولة القرآن وان حاول بعضُهم النَّيْلَ منه بتأويل ما يتعارض من آياته الكريمة مع مصالحهم وأغراضهم المنحرفة عن منهج الإسلام الرشيد .

مبدأ الوضع :

لا يختلف منصفان في أن العصر الأول للإسلام يُعدُّ أنظف العصور وأسلمها من حيث استقامة المجتمع وتوفيق رجاله وصلاحُهم، ولا غرْوَ فإن جُلّ القيادات كانت من الصحابة، كما أنّ الروح السائدة في الساحة الإسلامية كانت متأثّرة بصلاحهم مهتدية بهديهم الذي استمدّ من سموّ النبوّة سداده ومن نور مشكاتها سناه وإشعاعَه وفعاليته .

وحملة الآثار عن الرسول صلى الله عليه وسلم صحابةٌ، وهم عدول بتزكية من الله ومن الرسول، اتخذوا من حماية الإسلام ونُصرته شرِعة ومنهاجا وشِعارا مُقَدّساً لا يحَيدُون عنه قيد أُنملة، وإنّ مواقفهم المختلفة من شتّى الأحداث والوقائع لتترجم بصدق عن هذه المبادئ القيِّمَة والخُلُق القويم .

فهذا عمر الفاروق رضي الله عنه الذي تهابُه أعتى الإمبراطوريات ويخاف سطوتَـهُ العادلة أشجعُ الرجال، تقف في وجهه امرأةٌ لتقول له: لا ، وذلك حين دعا الى أمْرٍ رأتْ فيه هذه المرأةُ مخالَفَةً لتعاليم القرآن، فقد خطب النَّاس يوما فقال : أيها الناس لا تُغَالُوا في مُهُور النّساء لَوْ كان ذَلِكَ مَكْرُمَةً عند الله لَكَانَ أَوْلاَكُمْ بِهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الخ وتتصدّى له امرأة على مسمع من الصحابة فتقول له مهلا ياعُمَر! يعطينا الله فتحرمنا أنت ؟ أليس يقول الله عزّ وجلّ :

« وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ..»(١)

---

(١) الآية ٢٠ من سورة النساء (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا، فلا تأخذوا منه شيئا أفتأخذونه بهتانا وإثما مبيناً) .

فيقول عمر: امرأة أصابت ورجل أخْطَأ[2] .

ويذهب أبوبكر إلى محاربة الممتنعين عن أداء الزكاة فيعارضه عمر طالما أنَّ نَصّاً بينْ يديه يمنع دماء من يشهد أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم .

وهذا عليّ كرم الله وجهه يعارض عمر رضي الله عنه في أمْرِهِ برجْمِ الزانية الحُبلى حيث قال له: «لئن جعل الله لك عليها سبيلاً فإنَّهُ لم يجعل لك على ما في بطنها سبيلا» ويرجع عمر فيما يذهب اليه ويقول: لولا عليّ لهلك عمر[3] .

وهذا أبو سعيد الخدريّ يُنْكِرُ على مروان والي المدينة تقديم الخطبة على صلاة العيد مبيّنا أنَّهُ عمل مخالف للسّنة .

وهذا أبو ذرّ يقول: (لو وضعتم الصَّمصامة على هَذِهِ وأشَارِ إلىَ قفاه ثم ظننت أنّي أُنفذ كلمة سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تُجِيزُوا عليّ لانفذتُها)[4] .

فالصحابة كما رأينا من الشجاعة والأمانة بحيث لن يَسْكُتُوا عن الاجتهاد الخاطئ ولا عن كتمان حقيقة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضلا عن أن يسكتوا عن حديث موضوع. بل فإن الصحابة لطهارة بيئتهم لا يعرفون الكذب ولا يتصورونه: «حدّث أنس رضي الله عنه بحديث فقال له رجل: أَسَمِعْتَ هذا من رَسُولِ الله ؟ قال: نعم، وحدّثني من لم يكذب، والله ما كنا نكذب، ولا كنا ندري ما الكذب ؟) .

إلاّ أنَّ هذا النَّقَاءَ والصفاء لم يدُم طويلا، فما أنْ وَقَعَتِ الفتنةُ وانقسم المسلمون شِيَعاً حتى دبّ الكَذِبُ والوضع لتأييد اتجاهاتهم المتنافرة وأهدافهم المتباينة في التسلّط على الحكم .

وبذلك يمكن أن نؤرخ بداية الوضع ، باندلاع الفتنة التي أشعل فتيلهـا أقـوام من الحاقدين على الإسلام المُتَّشِحِينَ بوشاحه كعبدالله بن سبإٍ وغيره، وأخذوا يُزَيِّفُون الكثير من الحقائق لتأجيج الحقد في نفوس البسطاء وَلإشَاعَةِ الفوضى في الأوساط الجماهيرية المسلمة، ولفَرْطِ عَقْدِ نظام الأُمة الاسلامية الواحدة .

---

(٢) ـ (٣) دفاع عن الحديث النبوي ٦٤ .

(٤) البخاري ـ كتاب العلم ـ باب العلم قبل القول والعمل ١/١٧٠ (الصَّمصامة بمهلتين الأولى مفتوحة : هو السيف الصارم الذي لا ينثني» .

التعريف بالوضع :

على أننا قبل المضّي في بيان البيئة التي ظهر فيها الوضع ودوافع الوضع وَبَوَاعِثِهِ وَكَيْفَ يضعُ الوضاعُون موضوعاتِهم وكيف تُعْرَفُ وتُكشف تلك الموضوعات إلى غير ذلك من العناصر المتعلقة بهذا الموضوع يحسُن بنا أن نعرّف الحديث الموضوع .

الموضوع هو اسم مفعول من وضع يضعُ وضْعاً الشيء حطَّهُ وأسقطه[٥] نقول وضعتِ المرأةُ حملها أي ولدته[٦] ، ونقول: وضع فلانٌ نفْسَهُ وضْعاً ووضوعا وضَعَةً ... أذلّها[٧]، ونقول وضع فلان على فلان حديثا إذ أَلْصَقَهُ بِهِ[٨] .

فالموضوع تنتابه معاني الإلصاق والحطة والسقوط والمذلة وهي المعاني التي يَتَّصِفُ بها الحديث الموضوع .

الحديث الموضوع في الاصطلاح :

(هو الحديث الُمخْتَلَقُ المصنوع)[٩]، فهو منحط عن الحديث ومُلْقىً لا يؤبه به ، وملصق بالنّبي دون أن يكون قد قاله أو فَعَلَهُ أو أَقَرَّهُ

مكانة الحديث الموضوع :

إن اسمه يدُلُّ على مُسَمَّاهُ، فهو شر أنواع الضعيف[١٠]، وأحطُّ ألوانه حتى أنَّ بعضهم لا يُعِدُّه من الحديث إطلاقا .

حكم روايته :

ولذلك فقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز رواية الحديث الموضوع متى ظُنَّ أو عُلِمَ حالهُ من هذا الوضع، إلا إذا كانت هذه الرواية مقرونة ببيان وضعه والقدح فيه والتنفير منه لِيُحذَرَهُ

(٥) تنزيه الشريعة ٥/١ .
(٦) ـ (٧) القاموس المحيط ٩٨/٣ .
(٨) تنزيه الشريعة ٥/١ .
(٩) ـ (١٠) التقييد والايضاح ١٣٠ التدريب ٢٧٤/١ .

من قد يغترُّ بِهِ من الجهلة والعوام والرعاع . ولا تحِلُّ روايةُ الحديث الموضوع سواء كان بالسند أو مجردا عن السند، وسواء أفاد حكما شرعيا يتعلَّقُ بالحلال والحرام أو تناول فضائل الأخلاق أو الترهيب والترغيب .

التحذير من الوضع :

وإذا حذَّرت الشريعة الإسلامية من الكذب بصفة عامة فانها شدّدت فى التحذير من الكذب عن الرسول صلى الله عليه وسلم لأنَّ حديثه دين، ولهذا قال أَكْثَرُ من عالم: «إنَّ هذا الأمر دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم» ذلك أنه يحلل ويحرم ويُبِيحُ ويَمْنَعُ .

وقد توعّد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من يكذب عليه أو يُقَوِّلُه ما لم يقل بالدرك الأسفل من النار فقال: «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»(١١) وهو حديث متواتر، ذكر ابن الجوزي أنه رواه من الصحابة ثمانية وتسعون .

وتَوَقِّياً من الوقوع في المحظور نهى الرسولُ صلى الله عليه وسلم عن رواية الحديث متى ظنَّ راويه انه كذب فقال: «من حدّث بحديث وهو يرى أنَّه كَذِبٌ فهو أحَدُ الكاذبين»(١٢) .

كما انه حذر من الدجاجلة. فقد جاء في «الكفاية» للخطيب البغدادي ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «يكون دجّالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تعرفوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم أن يُضِلُّوكُمْ أو يفتنوكم»(١٣) .

حكم الوضع

وعلى ضوء نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوضع وتشديده على الوضاعين، ونظرا لما يترتَّبُ عن وضعهم من نتائجَ سيئة وفسادٍ في الدين، نُدْرك لِمَ كان الوضعُ حراما ولِمَ كان جَزَاءُ الوضّاعين النّار والجحيم ، وقد جزم الشيخ أبو محُمّد الجويني بتكفير من وضع حديثا على

---

(١١) الموضوعات ١/٥٥ .

(١٢) الموضوعات ١/٥٢ ـ المدخل الى دلائل النبوة ٤٦ .

(١٣) الكفاية ٦٠٢ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم مَتَعَمِّداً الإفتراء،[١٤] هو المذهب الحق الذي أَيَدهُ عدَدُ من العلماء منهم أبو الفضل الهمذاني شيخ ابن عقيل من الحنابلة وكذلك الحافظ الذهبي كما جاء في كتابه الكبائر[١٥] .

من جوّر الوضع :

وإنَّ إجْماع الأمة على تحريم الوضع لم يحُل دون وجود بعض أهل الأهواء ممّن جوّز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعاوى تحمل في طياتها بذور زيغها وانحرافها ، وقد حصر العلماءُ هؤلاءِ المجوّزين في ثلاثة أصناف :

أ ـ الزنادقة : بناء على تفصّي الزنادقة من كل المثل والقيم الإسلاميّة فإنّهم خالفوا نهي الرسول عن الوضع وإجماع الأمة على تحريمه وأباحوا الوضع بلا وجل، فهذا محمد بن سعيد المصلوب يرى جواز وضع سند لكل كلام حسن حيث قال: «لا بأس إذا كان كلام حسن أن يضع له إسناداً»[١٦] .

كما أن محمد بن كَرَّام السجزي[١٧]، وهو إمام الكرامية. إحدى الفرق المبتدعة في الإسلام ـ جوّز «الوضع في الترغيب والتّرهيب فيما لا يتعلَّقُ به حكمٌ من الثواب والعقاب ترغيبا للناس في الطاعة وزجرا لهم عن المعصية»[١٨] .

ب ـ بعض أهل الرّأي : لئن أشاد الإسلام بالرأي المحمود فانه هجّن الرّأي المتعسّف المذموم الذي رفع لواءه من لا يلتزم بالنص ومن يسعى للتخلص من التكاليف الشرعية، وقد وجد فيه من لا يخاف الله فرصته للتزيُّد في حديث رسول الله حتى قال قائلهم: «ما وافق القياسَ الجليّ جاز أن يُعْزَى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم» كما جاء ذلك في التدريب على لسان القرطبي (١/٢٨٤) .

(١٤) الباعث الحثيث ـ هامش رقم ٣ صفحة ٧٨ـ تنزيه الشريعة ١٢ .
(١٥) تنزيه الشريعة ١٢ .
(١٦) موضوعات ابن الجوزي ١/٢٨٠ ـ تدريب الراوي ١/٢٨٤ .
(١٧) نسبة الى سجستان، توفي سنة ٢٥٥هـ، وكان يقول: ان الله تعالى مستقر على العرش وانه جوهرـ الاعلام للزركلي ٧/٢٣٦.
(١٨) موضوعات ابن الجوزي ١/٩٦ ـ التقييد والايضاح ١٣١ ـ التدريب ١/٢٨٣.

ج ـ بعض المتصوفة : كما أنّ بعض المتصوفة ممن يُنْسَبُون الى الزهد لا يرون في الوضع فيما يعتقدونه من الوعظ والحضّ على التعبّد، وقد أخذ عليهم الإمام الغزالي حجةُ الإسلام ـ وهو الداعية الى التصوف الواعي ـ مسلكهم وقال: «وهذا من نزغات الشيطان، ففي الصدق مندوحة عن الكذب، وفيما ذكر الله ورسولُه صلى الله عليه وسلم غُنية عن الاختراع في الوعظ»[19] .

تأويلهم لحديث من كذب عليّ متعمدا :

وهؤلاء الذين أجازُوا الوضع في الترغيب والترهيب وفيما يعتقدونه نُصرة للدّين، ادَّعُوا أنَّ نهْيَ الرسول عن الكذب انما ينصرف الى أولئك الذين يكذبون على الرسول اما الذين يكذبون له ولصالح الإسلام فان النهي لا يشملهم، وقالوا: «نحن نكذب له ونُقَوِّي شَرْعَهُ، ولا نقول ما يخالف الحَقَّ، فإذا جئنا بما يوافق الحق فكأن الرسول صلى الله عليه وسلم قاله»[20] .

وقد علّق ابن كثير على تخريجهم المتعسّف لحديث «من كذب عليّ» بقوله: «وهذا من كمال جهلهم، وقلّة عقلهم، وكثرة فُجُورِهِم، وافترائهم، فإنه عليه السلام لا يحتاج في كمال شريعته وفضلها الى غيره»[21] .

البيئة التي ظهر فيها الوضع :

وبما أنّ أوّل من تجرّأ على الوضع هم الروافض، وكان وكرهم العراق، فان بلاد الرافِدَيْن تكون هي البيئة الأولى التي ظهر فيها الوضع، والعراق هو بلد ملتقى الحضارات القديمة ومنبت جملة كبيرة من الديانات والملل والنحل فكان (دار الضرب)[22] كما يقول إمام دار الهجرة مالك بن أنس .

---

(١٩) تنزيه الشريعة ١٢/١ ـ ويلحق ابن حجر بالزهاد المتفقهة الذين استجازوا نسبة ما دل عليه القياس الى النبي) تنزيه الشريعة ١٥/١ .

(٢٠) موضوعات ابن الجوزي ٩٨/١ .

(٢١) الباعث الحثيث ٧٩ .

(٢٢) أي تُصنَعُ فيها الأحاديثُ وتنشر بين الناس كما تضرب الدراهم.

ويُصَوِّر الإمام ابن شهاب الزهريّ ما ينال الحديث النبوي في العراق من التزيد والزيف بقوله: «يخرج الحديث من عندنا شِبْراً فيرجع إلينا من العراق ذراعا»(٢٣) ومن العراق تَسَرَّبَتِ العدوى وعظُمَتِ البلوى .

بواعث الوضع ودوافعه :

تقف وراء الوضاعين دوافع عديدة واسباب كثيرة تحرك نهمهم للوضع وتُزَيِّنُ لهم الكذبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أهمّ هذه البواعث:

أ ـ الخلافات السياسية : لقد هيأت الأحداثُ الدامية التي عاشها العالم الاسلامي في أواخر عهد عُثمان وما نجم عن الصراع الدمويّ الذي فُرِضَ على سيّدنا عليّ كرم الله وجهه والذي حركه ووقف وراءه طلاب السلطان، هيّأ لظهور أحزاب سياسية مُتَسَتِّرة بالإسلام استغلالا للدافع الديني وتأثيره الغلاب في النفوس .

فكان الخوارج والشيعة الروافض وحزب الأمويين ثم العباسيين.. كلّ يَنْحَتُ لنفسه حجة يؤيد بها هواه، ويَنْسُبُها للرسول بغيا وعدوانا .

وكان الروافض قد فازوا بِقَصَبِ السبق في مجال الوضع مما جعل الأئمة يحذرون منهم ومن مروياتهم. جاء عن مالك بن أنس رحمه الله حين سأله أحدُهم عن الرافضة قوله : «لا تكلمهم ولا تَرْوِ عنهم فإنهُمْ يَكذبون»(٢٤) وقال الشَّافِعِيُّ رحمه الله: «ما رأيتُ في أهل الأهواء قوما أشهدَ بالزور من الرافضة»(٢٥)، وحديث غدير خم في الوصية(٢٦) وأحاديث مناقب آل البيت والتشنيع على مخالفيهم تقوم شاهدا على إسْرافهم في الوضع .

كما أن الأُمويين راحوا يدفعون الوضاعين لاختلاق أحاديث تنصرُ حزبهم، فوضعوا على الرسول صلى الله عليه وسلم عشرات الأحاديث الموضوعة(٢٧) .

---

(٢٣) دفاع عن الحديث ٦٥ .

(٢٤) ـ (٢٥) دفاع عن الحديث النبوي ٦٦ .

(٢٦) دحض ابن خلدون دعوى الوصية في المقدمة ٣٧٥ ـ ٣٧٦ وانظر كذلك ٨٣٣ ـ ٨٣٤ كما ان ابن حزم وابن تيمية فندا دعوى الوصية انظر دفاع عن الحديث ٨٤ .

(٢٧) منها مثلا ما نسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم: «الأُمناء ثلاثة انا وجبريل ومعاوية» دفاع عن الحديث ٦٨ .

والعباسيون بدورهم وضعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يُمَكِّنُ لهم في السلطة حتى انهم نافسُوا الشيعة في الوصية، فادَّعَوْا ان الرسول قال: «العباس وَصِيِّي وَوَارِثِي».

ولم يَعْدَمْ مُنَاوِئُو البرامكة من يضع لهم أحاديث تُهَجِّنُ البرامكة وتبشّع عهدهم ، فمن ذلك ما نسبُوه لعليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه من القول: «سلطان أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته مائة سنة وسبع وستون سنة وواحد وثلاثون يوما ، حتى يسلط الله عليهم الوهن ..» ويعقّب أحمد أمين على هذا بقوله: وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات سنة ١١ هـ فتكون السنة التي تُوافِقُ التاريخَ الوْارِدَ في الحديث الموضوع هي سنة ١٧٨هـ، وقد لاحَظ بعضُ المستشرقين أنَّ هذه السَّنة هي التي أُعطيت فيها السلطة التامة للبرامكة، فقد ذكر الطبري في حوادث سنة ١٧٨ أنّه (في هذه السنة فوَّضَ الرشيدُ أموره كُلَّها الى يحيى بن خالد البرمكيّ»، فندرك تبعا لذلك أنّ هذا الحديث وضع لخدمة سياسية معينة هي كراهية البرامكة[٢٨] .

كما أنّ جهلة أهل السُّنة وضعوا ما زعموا أنه دفاع عن الجماعة ومما وضعُواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة منها لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبوبكر الصديق، عمر الفاروق ، عثمان ذو النّورين»[٢٩] .

٢ ـ الزندقة :

وتعد الزندقة من البواعث الاساسية للوضع، والملاحظ ان الزندقة يراد بها «كراهية الاسلام دينا ودولة»، وقد ظهرت في أشكال مختلفة كالشعوبية التي ناصبت كل ما هو عربّي العداء، وهي ترمي الى استنقاص حملة الاسلام وحمُاته من العرب، كما ظهرت في اشكال احزاب وحركات تنشر الإلحاد وتفسد عقيدة التوحيد متسترة بالتشيع حينا وبالزهد والتصوف حينا آخر وبالفلسفة والحكمة احيانا اخرى ... وقد وجدوا في الحديث مجالا خصيبا للدس والوضع، حتى

---

(٢٨) ضحى الاسلام ١٢٦/٢ .
(٢٩) دفاع عن الحديث ٦٧ .
(٣٠) الكفاية ٦٠٤ .

ان حماد بن زيد قال: «وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشر ألف حديث»[٣٠] وفي رواية أربعة عشر الف حديث.[٣١] .

وفي الحقيقة فإن أحاديث الزنادقة تحمل في طياتها دلائل وضعها، حيث تتعارض مع ما اشتهر من شريعة الاسلام، فهذا محمد بن سعيد المصلوب مثلا يروي عن حميد الطويل عن أنس مرفوعا: «أنا خاتم النبيّين لا نبيّ بَعْدِي إلا أنْ يَشَاء الله» وقد وضع هذا الأستثناء لِمَا كانَ يدعُو إليه من الالحاد والزندقة والدعوة الى التنبُؤ»[٣٢] .

وهذا الحارث الأعْور يروي سخافات وسماجات دون أنْ يَتَوَرَّعَ عن نسبتها الى الرسول فقد روى عن عليّ قوله: «سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أنِينُ المريض تسبيحُه وصياحه تهليله ونومه على الفراش عبادة، ونَفَسُه صدقة وتقلُّبه جنبا لجنب قتال لِعَدُوِّه، ويكتب له من الحسنات مثل ما كان يعمل في صحته، فيقوم وما عليه خطيئة»[٣٣] ولم يقف حماة الاسلام موقف المتفرج على تخريب هؤلاء الزنادقة وانما تصدَّوْا لهم يكشفون عُوارهم ويُظْهِرون عارهم بالنقد اليقظ، كما أنّ السلطان كان يَتَتَبَّعُهُم أحيانا ليستأصل شأفتهم حماية لحوزة الفكر والعقيدة والشريعة الإسلامية، من ذلك أن ابا عبدالله المهدي بالله[٣٤] بن محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي العباسي أنشأ دِيوَاناً خاصاً لمقاومة الزنادقة يتتبَّعُ أوكارهم ويُؤَدِّبُ رؤساءهم من شعراء وأُدباء وفلاسفة[٣٥] .

وقائمة الزنادقة وان كانت طويلة فان من أشهرهم :

- محمد بن سعيد المصلوب وكان من كبار الوضاعين قتله أبو جعفر المنصور .
- عبدالكريم بن أبي العوجا قتله محمد بن سليمان بن علي أمير البصرة .
- بيان بن سمعان النهدي الذي قتله خالد بن عبدالله القسريّ .

---

(٣١) تنزيه الشريعة المرفوعة ١١/١ .
(٣٢) تدريب الراوي ٢٨٤/١ .
(٣٣) ميزان الاعتدال ٤٣٦/١ .
(٣٤) تولى الخلافة ١٥٨ هـ بعَهْدٍ من أبيه عبدالله المنصور... وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً.. كان محمود العهد والسيرة محبباً إلى الرعية (الأعلام ٩١/٧) .
(٣٥) دفاع عن الحديث ٧١ .

ـ الحارث الأعور الكذّاب ـ والمختار الثقفي الكذاب وكل منهما ادعى أنّ الوحي ينزل عليه[٣٦] .

٣ ـ العصبيّـة :

كانت العصبية القبلية هي محور الحياة البدوية قبل الإسلام، حتى إذا ما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم شذّب هذه العصبية وهذّبها وحذر المسلمين من مخاطرها إلا أنّ اندلاع الفتن في ربوع العالم الاسلامي أحْياها من جديد فَرَكِبَهَا الأنتهازيون والذين في قلوبهم مرض، فتوسّعت دائرتها وبرزت في أشكال مختلفة، فنجـد بالاضافـة الى العصـبية القبلية كالاموية والزبيرية والعبّاسية والفاطمية ... عصبيات طائفية ينتصر لها الشيعـة والخـوارج والقدرية والمرجئة، وعصبيات مذهبية يقوم عليها جهلة الحنابلة والاحناف والشوافع والمالكية، واخرى جنسية يقف وراءها خبثاء الفرس والترك والعرب وغيرها جهوية يرفع لواءها بعض المتعصبين من الشوام والعراقيين والحجازيين وهكذا ..

ومن الموضوعات السخيفة التي وضعها الشعوبيون المتعصبون: «ان الله اذا غضب انزل الوحي بالعربية، وإذا رضي أنزل الوحي بالفارسية» وجاراهم حمقى العرب وجهلتُهم فوضعوا: «إنّ الله إذا غَضِبَ أنزل الوحي بالفارسية، وإذا رضي أنزل الوحي بالعربية»[٣٧] .

كما أن بعض متعصّبي الأحناف الحمقى من وضعوا: «سيكون رجل في أمتي يقال له أبو حنيفة النعمان هو سراج أمتي»[٣٨]، كما وضع المتعصبون على الامام الشافعي رَحِمِـهُ الله: «سيكون في أمتي رجل يُقَالُ له محمد بن إدريس الشافعي هو أضَرُّ على أمتي من إبليس»[٣٩]، وهو الامام الذي عناه بعض العلماء بِقول الرسول صلى الله عليه وسلم: يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد دينها .

والموضوعات التي أختلقها المتعصبون لبلدانهم وقبائلهم وصناعاتهم ومصنوعاتهم كثيرة جدّا وقد فضحها العلماء، وأبانُوا زيفها وفسادها .

---

(٣٦) تنزيه الشريعة ١/١١ ـ ميزان الاعتدال ١/٤٣٥ ـ ٤/٨٠ ـ وانظر بعض موضوعاتهم في تأويل مختلف الحديث ٢٧٩ .

(٣٧) موضوعات ابن الجوزي ١/١١١ ـ دفاع عن الحديث ٧١ .

(٣٨) ـ (٣٩) الفوائد المجموعة ٤٢٠ دفاع عن الحديث ٧١ .

٤ ـ القصّـاص :

ومن البواعث والأسباب التي ساعدت على الوضع القصص ، التي تعد من المنافذ التي تسرَّبَتْ منها الاسرائيليات والأساطير، ولهذا شدد العلماء على القصاص وردوا أحاديثهم وحَضُّوا الناس على مجانبتهم .

فهذا أبو عبدالرحمن السلميّ يحذر من شهود حَلَقَاتِهم فقال: «لا تجالسوا القصاص غير أبي الأحوص»[٤٠]، وفي هذا الاستثناء دليل على أنّ القصّاص ليسُوا كُلَّهُم مجروحين فمن كان دَيِّنَا عالما ثقة ورعا تُقْبَل قِصَصُه .

ونظرا إلى أنّ القصص ظهرت مع الفتنة فقد اعتبرها الصحابة ومن تبعهم من علماء السَّلف بدعة وقاوموها ، فقد أخرج سيدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة[٤١] واستعان عبدالله بن عمر على إخراج قاص من المسجد بصاحب الشرطة[٤٢] .

وكان شعبة بن الحجاج يمتنع عن تحديث القصّاص، فسأله أبُو الوليد الطيالسي عن ذلك فقال: «يأخذون الحديث منا شبرا فيجعلونه ذراعا»[٤٣] .

وقال ضمرة بن ربيعة الفلسطيني (ت ٢٠٢هـ) لسفيان الثوري (ت ١٦١هـ): «نستقبل القَاصَّ بوجوهنا ؟ فقال وَلُّوا البدع ظهوركم»[٤٤]، وقد ولىّ المحدّثون القصاص ظُهُورَهُم، وردُّوا أحاديثهم بل مصنوعاتهم وموضوعاتهم، وكيف لا يفعلون ذلك «ومعظم البلاء منهم يجري»[٤٥] ـ كما قال ابن الجوزي ـ .

ذلك ان القصاص وقد تولى الكثير منهم الوعظ لا يخافون الله ولا يرتاحون إلا لرؤية الدموع تنهمر من عيون الرعاع الذين يلتفون بهم يسمعون منهم قصصهم الغريبة المثيرة

---

(٤٠) مقدمة صحيح مسلم ١٧/١ .
(٤١) احياء علوم الدين ٤١/١ .
(٤٢) الحديث والمحدثون ١٠٠ .
(٤٣) الحديث والمحدثون ٢٦٦ .
(٤٤) إحياء علوم الدين ٤١/١ .
(٤٥) موضوعات ابن الجوزي ٤٤/١ .

التي كثيرا ما تكون من خوارق العادات والتي تتنافى مع أبسط قواعد المنطق السليم، لكي يستولوا على المزيد من نقودهم ودريهماتهم .

فاذا ذكر الجنة قال: فيها الحوراء من مسك أو زعفران، وعجيزتها ميل في ميل، ويُبَوِئُ الله وليَّهُ قَصراً من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون الف مقصورة في كل مقصورة سبعون الف قبة، فلا يزال هكذا في السبعين الفا لا يتحول عنها كأنَهُ يرى أنه لا يجوز أن يكون العدد فوق السبعين ولا دونها[٤٦] وان قصة الاسراء التي أوردها ابن الجوزي في كتاب الموضوعات[٤٧] في كتاب المبتدأ لَتُصَوِّرُ مدى ما يعمل القصاص في قصصهم من خيال يتعارض مع المنطق ولا يتفق الا مع مدارك الطفولة في سنّيها الأولى .

ومن صور صفاقة القصاص وقلة حيائهم ما رواه ابن الجوزي من أنّ أحمد بن حنبل ويحي بن معين صَلَّيَا في مسجد الرصافة، فقام بين أيديهما قصّاص فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا: حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال لا إله إلا الله خلق الله من كُلِّ كلمةٍ طيْراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان». وأخذ في نحو عشرين ورقة فجعل احمد بن حنبل ينظر الى يحيى بن معين ويحيى ينظر الى احمد فقال له: أنت حدثته بهذا ؟ فقال: والله! ما سمعت بهذا إلا الساعة، فلما فرغ من قصصه واخذ القُطيعات، ثم قعد ينتظر بقيتها، قال له يحيى بن معين: تعال . فجاء متوهما النوال .. فقال له يحيى: مَنْ حدَّثك بهذا الحديث ؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فقال : أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فان كان لا بد من الكذب فعلى غيرنا، فقال له: أنت يحيى بن معين ؟ قال: نعم . قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق، ما تحققته إلا الساعة. قال له يحيى: كيفَ عَلِمْتَ أنّي أحمقُ ؟ قال: كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين واحمد بن حنبل غيركما قد كتبتُ عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فوضع أحمد كُمَّه على وجهه ، وقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزئ بهما.[٤٨]

---

(٤٦) تاويل مختلف الحديث ٢٨٠ .

(٤٧) موضوعات ابن الجوزى ١٥٥/١ .

(٤٨) موضوعات ابن الجوزي ٤٦/١ ـ تنزيه الشريعة ١٤/١ ـ الباعث الحثيث ٨٥/١ .

وأكثر هؤلاء القصاص جهالٌ تشبّهوا بأهل العلم واندسُّوا بينهم فأفسدوا كثيرا من عُقول العامة، وهم لا يرعوون ولا يقبلون النصح بالتخلّي عن صنيعهم حتى أنّ أبا حاتم البستي حين سأل أحد القُصَّاص كيف تروي عن رجل لم تره ؟ قال له: إن المناقشة معنا من قلة المُرُوءَة أنا أحفظ إسنادا واحدا، وكلما سمعتُ حديثا ضممته الى هذا الاسناد(٤٩) .

٥ ـ الخلافات الفقهية :

نشأ عن الخلافات الفقهية والكلامية نُزُوعُ بعض الجهال والفسقة من أَتْبَاعِ المذاهب الى تأييد مذاهبهم بأحاديث موضوعة مكذوبة من ذلك الحديث الذي رواه محمد بن عكاشة الكرماني بِسَنَدِهِ الى انس بن مالك مرفوعا: «من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له»(٥٠)، وهذا المعنى أوقع أبا القاسم أصبغ بن خليل(٥١) من أهل قرطبة في هوة التزيُّد رغم جلالة قدره فقد بلغ به التعصُب لِرَأي مالك وأصحابه «أن افتعل حدّثنا في ترك رفع اليدين في الصلاة بعد الاحرام، ووقف الناس على كذبه فيه». فقد روى «عن غازي بن قيس عن سلمة بن وردان عن ابن شهاب عن الربيع بن خَيْثَم عن ابن مسعود قال: «صليت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر سنتين وخمسة اشهر وخلف عمر عشر سنين وخلف عثمان اثنتي عشرة سنة وخلف عليّ بالكوفة خمس سنين فما رفع واحد منهم يديه إلا في تكبيرة الاحرام وحدها» وقد بينّ العلماء فساد هذا الحديث حيث قالوا: ان سلمة بن وردان لم يرو عن ابن شهاب، وابن شهاب لم يرو عن الربيع بن خيثم حرفا قط ولا رآه، وكيف يقول ان ابن مسعود صلىّ خلف عليّ خمس سنين والحال ان ابن مسعود مات في خلافة عثمان بن عفان سنة ٣٢ هـ .

وبلغت الجرأة بهؤلاء المتعصّبين أن وضعوا أحاديث في ثلب أئمة الهُدى كالإمام الشافعي رضي الله عنه .

---

(٤٩) انظر موضوعات ابن الجوزي ٤٦/١ ، ٤٧ ـ الباعث الحثيث ٨٥ ، ٨٧ .

(٥٠) موضوعات ابن الجوزي ٤٣/١ ـ تدريب الراوي ٢٧٨/١ .

(٥١) كان أبو القاسم أصبغ بن خليل من أهل قرطبة حافظا للرأي على مذهب مالك واصحابه فقيها في الشروط بصيرا بالعقود دارت الفُتْيَا عليه بالاندلس خمسين عاما توفي سنة ٢٧٣ (انظر تاريخ علماء الأندلس ٧٧ وفيه قصة هذا الحديث الموضوع) جذوة المقتبس ١٧٣ ـ بغية الملتمس ٢٤٠ .

ومن أكاذيب بعض المتعصبين للمذهب القائل إن الايمان خصلة واحدة، قولهم: «من قال: الإيمان يزيد وينقص ، فقد خرج من أمر الله ..» .

٦ ـ الزهد والرغبة في الخير مع الجهل بالدين :

ولعل أعظم الوضاعين خطرا وَضَرَراً قوم يُنْسَبُون إلى الزهد، وضعوا الحديث احتسابا فيما يزعمون، وكأنهم استشعروا نقصا في الشريعة فاتموه بسخافاتهم التي يعتقدون أنهَّا تُحَبِّبُ الدين للنّاس .

وإنَّ تلك الموضوعات لتحمل في مبناها ومعناها دلائل وضعها، وهي لا تجد من يستمع اليها فضلا عمن يُصدِّقها إلا بُسَطَاء الناس ورعاعهم، وكيف يلتفت عاقل إلى قولهم: «إنّ من صلى كذا فله سبعون دارا، في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون الف سرير، على كل سرير سبعون الف جارية» نعم إن القدرة الإلهية لا تعجز، ولكن هذا تخليط قبيح كما يقول ابن الجوزي[٥٢] .

ثم إن موضوعاتهم تُفسد حقيقة الثواب وموازينه الواقعية كما في قولهم: «من صام يوما كان له أجرُ ألْفِ حاج وألف معتمر وكان له ثواب أيُوب» وهي تفصح عما يعانيه هؤلاء الزهاد من الجهل، فَهُمُ لا يفرقون بين ما يجوز لهم وما لا يجوز فكانوا لا يَتَرَدَّدُون عن الكذب، وهو الأمر الذي جعل يحيى بن سعيد القطان يقول: «ما رأيتُ الكذب في أحَدٍ اكثر منه فيمن ينسب الى الخير»[٥٣] .

وخطرُ هؤلاء الزهاد يتمثَل في تعلُّقِ عامة الناس بهم لتقشُّفِهِمْ وزهدهم وتَعَفُّفِهِم، فهذا «غلام خليل يتزهَّدُ ويُهَجِّنُ شهواتِ الدنيا ويتقوَّتُ البلاقلاّ [الفول] تَصَوُّفاً» مما جعل العامة يتعلقون به حتى ان بغداد غلقت أسواقها يوم وفاته حُزْناً عليه إلا أنه كان لا يتورَّع عن وضع الرقائق، فقد سَأَلَهُ أبُو عبدالله النهاوندي: «هذه الأحاديث التي تُحَدِّثُ بها من الرقائق ؟ فقال: وضعناها لنرقق بها قلوب العامة»[٥٤] .

---

(٥٢) موضوعات ابن الجوزي ٩٨/١ .

(٥٣) موضوعات ابن الجوزي ٤١/١ ـ تدريب الراوي ٢٨٢/١ .

(٥٤) موضوعات ابن الجوزي ٤٠/١ وغلام خليل هو أحمد بن محمد بن غالب الباهليّ وهو زاهد بغداد توفي سنة ٢٧٥هـ قال عنه أبو داود: أخشى أن يكون دجّال بغداد (ميزان الاعتدال ١٤١/١) .

وكذلك وهب بن حفص كان من الصالحين على مَلْحَظِ ابْنِ عدي، حتى أنه مكث عشرين سنة لا يُكَلِّمُ الناس، إلا أنه مع ذلك كان يكذب كذبا فاحشا(٥٥)

وهكذا فان الزهد والصلاح متى شابها الجهل وسُوءُ الفهم للدين يتحوَّلان الى كارثة يعاني منها المجتمع الاسلامي لما يُفْسِدَانِهِ من تصوُّرِ الناس لعالم الغيب والشهادة فتسوء تبعا لذلك حياتهم ويختل امنهم .

٧ ـ التقرب للملوك والامراء بما يوافق اهواءهم :

ان من الأسباب التي دفعت بعضهم الى الوقوع في الوضع السعي الى التقرب الى الملوك واهل السلطان ومحاباتهم وخدمة أهوائهم، وان علماء المصطلح اتخذوا من اكذوبة غياث بن ابراهيم مثلا على هذا اللون من الكذب، فقد دخل يوما على المهدي ـ وكان يلعب بالحمام ـ فحدثه بحديث: «لا سبق إلا في نصل أو خفّ أو حافر» ودسّ فيه «أو جناح» تقربا من المهديّ، الذي استاء لهذا التزيد، وذُكر انه لما قام غياث قال المهدي: أَشْهَدُ أَنَّ قفاك قفا كذّاب(٥٦)، وترك اللعب بالحمام وامر بذبحها .

٨ ـ حبّ الظهور :

حبّ الظهور من الآفات الاجتماعية الخطيرة التي كثيرا ما تنخر العلاقات بين الناس حيث يتظاهر الواحد بما ليس فيه وقد شجب الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المسلك فقال: «المتشبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كلابس ثوبَيْ زُور»، ويتمثل خَطَرُ هذا الآفة على الحديث في أنّ الرجل قد يُسْأَلُ ويأنف من الجواب بأنه لا يعرف فيصطنع الحديث لكي يقال انه عالم حافظ، كما ان

---

(٥٥) موضوعات ابن الجوزي ٤١/١ ـ تدريب الراوي ٢٨٣/١ ـ ووهب هذا هو وهب بن يحيى بن حفص البجليّ ـ قال الدارقطني: كان يضع الحديث ـ عاش الى سنة ٢٥٠هـ (ميزان الاعتدال ٣٥١/٤ ـ ٣٥٥) .

(٥٦) غياث بن ابراهيم النخعي ـ كان يضع الحديث ميزان الاعتدال ٣٣٧/٣ عدد ٦٦٧٣ وانظر موضوعات ابن الجوزي ٤٢/١ تدريب الراوي ٢٨٥/١ ـ ٢٨٦ تنزيه الشريعة المرفوعة ١٤/١ ـ ١٥ والملاحظ ان العلماء الحقيقيين لا يضعفُون أمام السلطان على حساب العلم والحق فهذا الأمير خالد بن احمد الذهلي والى بخارى يبعث الى الامام محمد بن اسماعيل البخاري كي يحمل له الجامع الصحيح والتاريخ الكبير لِيُسْمِعَهُما له في بيته فأجاب الامام: «إني لا أذل العلم ولا أحمله الى أبواب السلاطين فان كانت له حاجة الى شئ من ذلك فليحضرني في مسجدي ـ أو في داري» هدي الساري ٢٥٦/٢ .

بعضهم يريد أن يبدُوَ أنه يحفظ ما لا يحْفظه غيره فيضع للحديث إسنادا غير اسناده لِيُسْتَغْرَبَ ويُطلب. ومن هؤلاء إبراهيم بن أبي حيّة[٥٧] كان يحدّث عن جعفر الصادق وهشام بن عروة، فيُرَكِّبُ حديث هذا على حديث ذاك لتستغرب تلك الأحاديث بتلك الأسانيد[٥٨] .

يقول تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية: «إن من قلب الإسناد لِتُسْتَغْرَبَ حديثه ويرغب فيه يصير دجّالا كذّابا تسقط به جميع أحاديثه وان رواها على وجهها»[٥٩] .

٩ ـ من ابتلي بمن يدس في حديثه الموضوع ولم يتعمده :

لا يعد هذا العنصر من البواعث المباشرة على الوضع، إلا أنّه يسبب للراوي الوقوع في رواية الحديث الموضوع رغم براءته منه وهذا كما وقع لحماد بن سلمة مع ربيبه عبدالكريم بن أبي العوجاء حيث كان يدُسُّ في كتبه أحاديث موضوعة؛ وكما وقع لمعمر بن راشد حيث كان له ابنُ أخٍ رافضي يدسُّ عليه في كتبه أحاديث موضوعة منها حديث عن الزهريّ عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس قال: «نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى عليّ فقال: انت سيّدٌ في الدنيا وسيد في الآخرة ومن احبَّك فقد أحبَّني، وحبيبي حبيبُ الله وعدُوُّك عدوي ، وعدوّي عَدُوُّ الله، والويل لمن أبغضك بعدي» فحدّث به عبدالرزاق عن معمر وهو باطل موضوع كما قاله ابن معين[٦٠] .

والى جانب هذه الأسباب والبواعث هناك عامل آخر يُوقِعُ صاحِبَهُ في شبه الوضع، وهو الخطأ الذي ينزلق اليه الراوِي سَهْواً دُونَ أن يتعمَّدهُ وهذا النوع من الحديث الى المدرج اقرب منه الى الموضوع ـ كما أشار الى ذلك شيخ الاسلام ابن حجر في نُخْبة الفِكر، ويمثل لهذا بما وقع لثابت بن موسى (وهو شيخ له فضل واسلام ودين وصلاح وعبادة)، فقد دخل على شريك بن عبدالله القاضي ـ والمستملي بين يديه ـ وشريك يقول: حدثنا الاعمش عن ابي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ثم توقف عن الاملاء ريثما يكتب

---

(٥٧) هو ابراهيم بن أبي حية اليسع بن الأشعث أبو اسماعيل المكي (ميزان الاعتدال ٢٩/١ عدد ٧٩) .

(٥٨) موضوعات ابن الجوزي ٤٣/١ تنزيه الشريعة ١٥/١ .

(٥٩) تنزيه الشريعة ١٥/١ .

(٦٠) تدريب الراوي ٢٨٦/١ وعبيدالله هو ابن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي من علماء التابعين وكبار فقهائهم وشعرائهم معا وهو أحد الفُقَهاء السبعة (انظر تهذيب التهذيب ٢٤/٧) .

المستملي السند، فلما رأى شريكُ ثابتا داخلا قال: «من كَثُرَتْ صَلاَتُهُ بِاللَّيْلِ حسُن وجهه بالنهار» يريد بذلك ثابتا لزهده وورعه، إلاَّ أنَّ ثابتَ بْنَ مُوسَى ظن أنَّ مقالة شريك هي متن السّند المرفوع للرسول عليه الصلاة والسلام الذي كان بصدد إملائه فحدّث به على أنه حديث للرسول صلى الله عليه وسلم. ومهما يقال حول هذا الحديث فان معناه كما يقول محمّد فؤاد عبدالباقي ـ ثابت بموافقة القرآن وشهادة التجربة(٦١) .

وهكذا يتبيَّنُ لنا ان الخلافات السياسية والزندقة والعصبية والقصاص والخلافات الفقهية والكلامية والزهد مع الجهل بالدين والتقرب للملوك والامراء بما يوافق أهواءهم، وحب الظهور والابتلاء بمن يدُسّ الأكاذيب والوقوع في الوضع خَطَأً بلا تعمُّد وغيرها من الأسباب كالوقيعة في فئة من الناس والترويج لنوع من المآكل أو الثمار أو الطِّيب أو الحيوان ونحوها، هذه الأسباب كلها ساهمت في شيوع الوضع واتساع نِطَاقِهِ. إلا أن الله تعالى قَيَّضَ لهذا الدين رجالاً استطاعوا بفضل ما وضعوه من قواعد علمية دقيقة كشف كل زيف ورد كل موضوع الى مصادره واسبابه الواضحة والخفية .

فهذا عبدالله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) يُسْأَلُ عن الأحاديث المصنوعة ؟ فيقول: تعيش لها الجهابذة.(٦٢) وهذا محُمّد بن إسحاق بن خزيمة يقول «ما دام أبو حامد الشرقي في الأحياء لا يتهيأ لأحد أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم». أمّا أبُو الحسن الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) أعلم رجال عصره بالعلل فينادي ببغداد: «يا أهل بغداد لا تظنون أنّ أحدا يقدر يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حيّ»(٦٣) .

وقد بلغت شدة مقاومة بعضهم للموضوعات أن كانوا يحفظونها لكي لا تختلط بالصحيح، من هؤلاء يحيى بن معين (ت ٢٣٤هـ) فقد رآه الإمام أحمد بن حنبل يوما بصنعاء وهو ينسخ صحيفة موضوعة، فقال له: «تكتب هذه الصحيفة وتعلم انها موضوعة» ؟ فقال: نعم اكتبها فاحفظها، واعلم انها موضوعة. حتى لا يأتي كذاب يرويها بسند سليم فيختلط أمرُ الحديث»(٦٤) .

---

(٦١) انظر سنن ابن ماجه ـ كتاب اقامة الصلاة ـ باب ما جاء في قيام الليل ٤٢٢/١ ـ وانظر تعليق محمد فؤاد عبدالباقي ٤٢٣/١ ـ وانظر تدريب الراوي ٢٨٧/١ .

(٦٢) موضوعات ابن الجوزي ٤٦/١ ـ الباعث الحثيث ٨٧ .

(٦٣) موضوعات ابن الجوزي ٤٥/١ .

(٦٤) انظر تاريخ التراث العربي ٢٣٧/١ .

كيف يضع الوضاعون موضوعاتهم ؟

حين يضع الوضاع حديثه لا يخلُو أمره من الحالات والصور التالية :

١ ـ فاما ان يضع كلاما من عند نفسه[٦٥] ويرويه، وهو حال اكثر الموضوعات ويَصْنَـعُ موضوعاته هذه إما حال جُلوسه للكذب وسُؤاله عن أمرٍ مَا واما انه يسهر عليها الليالي يُجَوِّدُهَا ويُحَسِّنُهَا. .

٢ ـ واما ان تَسْتَهْوِيَهُ مقولةٌ لِبَعْضِ الحُكَمَاءِ فَيَنْسُبُهَا للرَّسُول صلى الله عليه وسلم حتى يبدو في نظر سامعيه أنه كثير الحفظ كثير الحديث كحديث «المعدة بيت الداء والحمية [من حمى المريض اذا منعه عما يضره] رأس الدواء»، والرسول برئ من هذا القول إذ هو من كلام بعض الأطباء وقيل هو الحارث بن كلدة طبيب العرب[٦٦] .

٣ ـ وقد يستهويه مثل عربي أو موعظة لزاهد أو متعبد، فيرُكِّبَ لها إسنادا وينسبها الى الرسولِ صلى الله عليه وسلم ويكثر هذا اللون في موضوعات فضائل السُّور، وأداء الفروض وتمجيد بعض المواسم والاعياد والايام، ولئن وجدت أحاديثُ صحيحة وحسنة وضعيفة في فضائل السور فإنَّ عَدَداً كبيرا آخر من تلك الأحاديث يعد من الموضوعات الشنيعة.[٦٧] .

٤ ـ وقد يستمدُّ الوضاع أكاذيبه ومختلقاته من الإسرائيليات وهي من المصادر الخطرة على السنة وقد اتجهت عناية بعض علماء عصرنا الى تخليص تراثنا الاسلامي مما عكر صفوه من الأكاذيب[٦٨] .

(٦٥) الباعث الحثيث ٨٨ ـ التقييد والايضاح ١٣٢ ـ تدريب الراوي ٢٨٧/١ .

(٦٦) انظر تدريب الراوي ٢٨٧/١ وقد جاء في تمييز الطيب من الخبيث ١٥٢ أنّ الحديث هو من كلام الحارث بن كلدة ولا يصح رفعه الى النبيّ صلى الله عليه وسلم ـ وانظر كذلك التقييد والايضاح ١٣٢ ـ الباعث الحثيث ٨٨ .

(٦٧) من السور التي صحت، في فضائلها بعض الأحاديث: الفاتحة ـ قل هو الله أحد ـ الزهروان (البقرة آل عمران) الانعام ـ السبع الطوال وهي البقرة، آل عمران ، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف ، التوبة ـ وقد ألّف الامام السيوطي كتاباً لطيفا في ذلك سمّاه (خمائل الزهر في فضائل السور) (تدريب الراوي ٢٩٠/١).

(٦٨) نشر مجمع البحوث الاسلامية: الاسرائيليات في التفسير والحديث للشيخ الذهبي رحمه الله ـ الكتاب ٣٧ ـ شعبان ١٣٩١هـ/اكتوبر ١٩٧١م .

من ذلك ما رواه ابن الجوزي في موضوعاته: «ينزل الله الى السماء الدنيا ثم يفتح ابواب السماء والأرض ويقعد معه الملائكة»(٦٩) فهو كلام يذكرنا بما ترويه التوراة في سفر التكوين من نزول الرب ولهوه وبكائه وتسبيحه ... فهي صور من التشبيه والتجسيم التي تزخر بها شريعة اليهود المادية التي زوقها أحبارُهم عبر القرون والتي تتنافى كلية مع عقيدة التوحيد الخالص التي حاربت الخرافات والأوهام .

كيف يعرف الحديث الموضوع ؟

لقد حدد علماء الحديث قواعد ووصفوا علاماتٍ يعرف بها الموضوع تماما كما وضعوا قواعد لمعرفة أقسام الحديث من حيث القبول والرد ومن حيث عدد الرواة، ولطول ممارسة هؤلاء العلماء لتمحيص الأحاديث وتنخيلها صاروا كصيارفة النقود يدركون سليمها من زائفها من النظرة الأولى. يقول الأوزاعي «كنا نسمع الحديث ونعرضه على اصحابنا كما نعرض الدرهم الزائف، فما عرفوا منه أخذناه وما انكروا منه تركناه»(٧٠) .

وقد جعلوا علامات في المتن واخرى في السند يعرف بها الوضع .

علامات الوضع في السند :

١ ـ أن يكون رواي الحديث كذابا مشتهرا بالوضع ولا يعرف لذلك الحديث راو آخر ثقة وقد اعتنى النقاد بهذا الصنف من الرجال فألَّفُوا فيهم الكُتُبَ العديدة بينّوا فيها تواريخهم وفضحوا اكاذيبهم بحيث لم يفلت منهم احد، وتعرف هذه الكتب بكتب الضعفاء، وقد تواصل التاليف فيها منذ القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر، فان الخارجين على الملة يلقون دائما من يكشف حقائقهم للمسلمين لئلا يغتَرُّوا بهم ومن ويزيف مقولاتهم وأشهر من الف في الضعفاء: يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ) وعلي بن المديني (ت ٢٣٤هـ) والامام البخاري (ت ٢٥٦هـ) له الضعفاء الكبير والصغير. وأبو زرعة الرازي (ت ٢٦٤هـ) والنسائي (ت ٣٠٣هـ) وأبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) وابن عدي الجرجاني وله

(٦٩) موضوعات ابن الجوزي ١٢٥/١ .
(٧٠) الكفاية ٦٠٥ ـ موضوعات ابن الجوزي ١٠٣/١ .

الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث[٧١] وهو اكمل الكتب المصنفة قبله وأجلها وهو المرجع الذي لا غنى عنه للباحث في الضعفاء، والدارقطني (ت ٣٨٥هـ) له الضعفاء والمتروكون وغيرهم كثير[٧٢] .

٢ ـ ان يعترف واضِعُهُ بالوضع: وقائمة الوضاعين الذين اعترفوا بكذبهم طويلة :

جاء في تاريخ البخاري الأوسط أنّ عمر بن صبح بن عمران التميمي قال: «أنا وضعت خطبة النبيّ»[٧٣] .

كما أن غلام خليل حين سئل: هذه الأحاديث التي تحدّث بها من الرقائق ؟ أجاب قائلا: «وضعناها لنرقِّقَ بها قلوبَ العامة»[٧٤] .

وهذا أبوعِصْمَة نوح بن أبي مريم يُسْأَلُ: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة ؟ فقال: «إني رأيتُ الناس قد أعرضُوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذه الأحاديث حسبة»[٧٥] .

وهو نفس المعنى الذي أجاب به أحَدُ شيوخ المتصوّفة حين سأله مونل بن إسماعيل: يا شيخ! مَنْ حدثك بحديث أُبَيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل القرآن سورة سورة فقال: «لم يحدثني احد ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن، فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قُلُوبَهُمْ إلى القرآن»[٧٦] .

كما أقرّ مَيْسَرَة بن عبد ربّه الفارسي أنَّهُ وضع أحاديث في فضائل القرآن وأنَّهُ وضع في فضل عليّ سبعين حديثا[٧٧] .

---

(٧١) تاريخ التراث العربي ١/٢٩١ ـ ٢٩٢ .
(٧٢) انظر فتح المغيث ٣/٣١٤ .
(٧٣) تدريب الراوي ١/٢٧٥ ـ الباعث الحثيث ٨١ .
(٧٤) موضوعات ابن الجوزي ١/٤٠ .
(٧٥) موضوعات ابن الجوزي ١/٤١ ـ التقييد والايضاح ١٣٢ ـ تدريب الراوي ١/٢٨٢ .
(٧٦) التقييد والايضاح ١٣٤. التدريب ١/٢٨٨ .
(٧٧) الباعث الحثيث ٨١ .

والملاحظ أنّ النقاد عابوا على بعض المفسرين كالثعلبي [أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ت ٤٢٧هـ]، والواحدي [أبي الحسن عليّ بن متّويه ت ٤٦٨] والزمخشري [أبـي القاسم محمود بن عُمَرت ٥٢٨هـ] والبيضاوي [ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي ت ٦٩١هـ] إيداعهم تفاسيرهم بَعْضَ الموضوعات المتعلقة بفضائل السُّور.(٧٨) كما اعترف الكثيرُ من الزنادقة بوضعهم للحديث: مثل عبدالكريم بن أبي العوجاء الذي اعترف حين أُخِذَ ليضرب عنقه بأنّه وضع في الناس أَرْبَعَةَ آلاف حديث يُحَرِّمُ فيها الحلال ويُحَلِّلُ الحرام .

وكذلك بيان بن سمعان النهديّ الذي قتله خالد القسري(٧٩) .

٣ ـ ما يتنزل منزلة إقرار الرّاوي : وذلك كأن يحدّث عن شيخ لم يثبت أنه لقيه كأن يكون وُلِدَ بعد وفاته، أو أن يكون الشيخ توفي والراوي ما يزال طفلا لا يدرك الرواية، أو لم يرحل لذلك المكان الذي ادَّعَى أَنَّهُ سَمِعَهُ فيه والمعوّل في هذا المضمار على التاريخ، تاريخ حياة الرجال: مواليدهم ووفياتهم ورحلاتهم وشيوخهم وتلاميذهم ومؤلفاتهم ونحو ذلك، وهذا مما جعل سفيان الثوري يقول: لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ وقال حسّان بن يزيد: «لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ، يقال للشيخ سنة كم وُلِدْتَ ؟ فاذا أَقَرَّ بمولده مع معرفتنا بوفاة الذي انتمى إليه عرفنا صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ»(٨٠) .

وأمثلة كشف الوضع بوساطة التواريخ كثيرة منها :

أ ـ ادعى مأمون بن أحمد الهروي أنه سمع من هشام بن عمار، فسأَلَهُ الحافظ ابن حبان متى دخلتَ الشَّام ؟ قال: سنة خمسين ومائتين، فقال له: إنَّ هِشَاماً الذي تروي عنه مات سنة ٢٤٥هـ .. فقال: هذا هشام بن عمار آخر.(٨١) .

ب ـ وحدّث عبدُالله بن إسحاق الكرماني عن محمد بن أبي يعقوب، فقيل له: مات محمد قبل أن تولد بتسع سنين .

(٧٨) التقييد والايضاح ١٣٤ ـ تدريب الراوي ٢٨٩/١ .

(٧٩) التدريب ٢٨٤/١ ـ انظر نحوه الكفاية ٦٠٤ .

(٨٠) الاعلان بالتوبيخ ٢١ ـ ٢٢ .

(٨١) الباعث الحثيث ٨١ ـ دفاع عن الحديث ٨١ ـ

جـ ـ وحدّث محمد بن حاتم الكش عن عبد بن حميد. فقال الحاكم أبو عبدالله: هذا الشيخ سمع من عبد بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة.(٨٢) .

د ـ وجاء في مقدمة صحيح مسلم أنَّ المعلىّ بن عرفان حدّث أبا نعيم الفضل بن دكين (ت ٢١٠ هـ) بأنَّ أبا وائل شقيق بن سلمة (ت ٧٩ هـ) قال: خرج علينا عبدالله بن مسعود بصِفِّين. فقال أبو نعيم: أتُرَاهُ بُعِثَ بعد الموت(٨٣) ..؟ ذلك أن مَوْقِعَة صِفِّين وقعت سنة ٣٧ هـ، بينما ابن مسعود توفي سنة ٣٢ هـ .

هـ ـ ومن أشهر ما يذكر بهذا الصدد الوثيقة المزورة التي وضعها اليهود وادَّعوْا أنَّها كتاب نبوي يقضي بإسقاط الجزية عن اليهود الخيابرة(*) وقد كشفها الخطيب البغدادي بفضل علمه بالتاريخ، إذ وجد ضمن شهود الوثيقة: معاوية بن أبي سفيان وسعد بن معاذ، فتبين زيفها ذلك ان وقعة خيبر تمت سنة ٧ هـ في حين لم يُسلم معاوية الا عام الفتح سنة ٨ هـ أي بعد خيبر بسنة، بينما لاقى سعد بن معاذ ربه سنة ٦ هـ عام الخندق أي قبل خيبر بسنة ..

٤ ـ يعرف الوضع بقرائن في الراوي: كمعرفة هواه وحاله وبواعثه النفسية كأن يكون الراوي راضيا مثلا والحديث في فضائل آل البيت أو أن يكون الراوي مُتَعَصِّباً لمذهب ضد غيره :

ومثاله ما وضعه مأمون بن أحمد الهروي في ذم الشافعي والإشادة بابي حنيفة.(٨٤) فمامون هذا جَاهِل متعصّب لأبي حنيفة على الشافعي.

ومثاله أيضا ما أسنده الحاكم عن سيف بن عمر التميميّ قال: ضربني المعلم. قال: لأُخْزِيَنَّهُم اليَوْمَ حدثني عكرمة عن ابن عبّاس مرفوعا: معلمو صبيانكم شرَارِكم، أَقَلُّهُم رحمةً لليتيم وأغلظهم على المسكين(٨٥). وكلٌّ من سعد بن طريف الإسكافي وسَيْف بن عُمَر التميمي

---

(٨٢) دفاع عن الحديث ٨١ .

(٨٣) مقدمة صحيح مسلم ٢٦/١ .

(٨٤) موضوعات ابن الجوزي ٤٣/١ ـ تدريب الراوي ٢٧٨/١ ـ الباعث الحثيث ٨٢ .

(٨٥) موضوعات ابن الجوزي ٤٢/١ ـ التدريب ٢٧٧/١ ـ الباعث الحثيث ٨٢ وانظر ترجمة سعد بن طريف وسيف بن عمر في ميزان الاعتدال ١٢٢/٢ ـ ١٢٣ .

مُتَّهَمٌ ساقِطُ الحديث . ومثاله كذلك ما رواه محمد بن الحجاج النخعي ـ وكان يبيع الهَرِيسَة ـ (الهريسة تَشُدُّ الظهر)[٨٦] .

علامات الوضع في المتن :

أما علامات الوضع في المتن فهي كثيرة، منها :

١ ـ ركاكة اللفظ : نظرا إلى أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح الفصحاء وسيّد البلغاء وهو الذي أُوتِيَ جوامع الكلم، فان الحديث متى كان موضوعا عنه لا يَحَارُ المتشبِّعُ بأسرار اللغة المحمّدية أن يكشفه. يقول الربيع بن خثيم: «إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه، وإن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل نُنْكِرُهُ»[٨٧] .

قال بدرالدين الزركشي : ويعرف الموضوع من حَال المرويّ (لركاكة الفاظه حيث تمتنع الرواية بالمعنى)[٨٨] أمَّا متى لم تمتنع الرواية بالمعنى، فَيَحْتَمِل أن يكون الراوي قد روى الحديث بالمعنى فغير ألفاظه بغير فصيح، وبذلك لا تصبح ركة اللّفظ وحدها كافية إلاّ متى صَرَّح الراوي بأن الحديث من لفظ النبي عليه الصلاة والسلام فيصبح كذبُه مُحَتَّماً .

والملاحظ أن مُدَاوَمَة النظر في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث لصاحبها ملكة يُمَيِّزُ بوساطتها ما يجوز أن يكون من ألفاظ النبوة وما لا يجوز، وقد سُئِلَ بعضُهم: كف تعرِفُ أنَّ الراوي كذاب ؟ قال: إذا روى لا تأكلوا القرعة حتى تذبحوها، عملت أنه كذّاب[٨٩] .

وجلّ موضوعات الزنادقة والروافض مردودة لركة ألفاظها، فضلا عن فساد معناها .

٢ ـ ركاكة المعنى: لقد أشار النَّبيُّ محمد صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الخطيب في الكفاية، الى أنّ المسلم بِفَضْلِ نقاء وجدانه وصفاء حسّه يستطيع تَبَيُّـن السليم من السقيم

---

(٨٦) دفاع عن الحديث ٨٢ .

(*) انظر قصة وثيقة اليهود الخيابرة في طبقات الحفاظ للسيوطي ٤٣٦ .

(٨٧) الكفاية ٦٠٥ ـ موضوعات ابن الجوزي ١٠٣/١ ـ التدريب ٢٧٥/١ تنزيه الشريعة ٧/١ .

(٨٨) التدريب ١/ ٢٧٦ .

(٨٩) تنزيه الشريعة ٦/١ .

من الحديث حيث قال: «إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعارُكم وأبشاركم، وترون أنَّهُ منكم قريب فأنا أولاكُمْ بهِ، وإذا سمعتم الحديث عنّي تُنكره قُلُوبُكم وتنفُر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنَّهُ منكم بعيد، فأنا أبْعَدُكم منه»[٩٠] وهو معنى استشعره ابن الجوزي حين ممارسته تنخيل الحديث المنسوب للرَّسُول فقال: «الحديث المنكر يقشعرّ له جلد طالب العلم وينفر منه قلبه في الغالب»[٩١] .

وركاكة المعنى التي ينفر منها القلبُ فسَّرَ العلماءُ مضمونها بما يأتي تلخيصُه :[٩٢]

أ ـ هو ما كان مخالفا للعقل بحيث لا يقبل التأويل ، ومثاله ما رواه ابن الجوزيّ في مضمار بيان أنّ بعض الزنادقة قد يدس الحديث على بعض الصالحين: (... قيل لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم: حدثك أبوك عن جدك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ سفينة نوح طافت بالبيت سبعا وصلّت خلف المقام ركعتين ؟ قال: نعم) .

وكذلك ما كان مخالفا لما يوجبه العقل للهِ من تنزيه وكمال، ومثاله ما رواه (محمد بن شجاع البلخيّ ... عن أبي هريرة مرفوعا: ان الله عز وجل خلق الفَرَسَ فأجراها فعرقت ثم خلق نفسَهُ منها) وهو حديث من أسخف الأحاديث وأركها بالاضافة الى كونها مستحيلة عليه تعالى فالخالق لا يخلق نفسه .

ويلحق بما يخالف بدهيات العقول ما يدفعه الحسّ والمشاهدة أو العادة مثل: «لا يولد بعد المائة مولود لِلَّهِ فيه حاجة» .

وما يخالف القواعد العامة في الحكم والاخلاق مثل: «جَوْرُ الترك ولا عدل العرب» .

وما كان داعيا الى الشهوة والمفسدة مثل: (النظر الى الوجه الحسن يُجْلِيٍ البصر» وما كان مخالفاً لقواعد الطِّبّ المتفق عليه مثل: «الباذنجان شفاء من كل داء» . وما كان مخالفا لقطعيات التاريخُ أو سُنّة الله في الكون والخلق كحديث عَوَج بْن عَنَق من أنّ الطوفان

(٩٠) الكفاية ٦٠٣ ـ موضوعات ابن الجوزي ١٠٣/١ ـ تنزيه الشريعة ٧٦/١ .

(٩١) الموضوعات ١٠٣/١ التدريب ٢٧٥/١ .

(٩٢) انظر في هذا العنصر موضوعات ابن الجوزي ١٠٠/١ ـ ١٠٥ ـ تدريب الراوي ٢٧٨/١ ـ الباعث الحثيث ٨٣ ـ دفاع عن الحديث ٨٢ ـ ٨٣ تأويل مختلف الحديث ١٠٠ .

لم يَصِلْ الى كعبه ومن انه كان يُدخِلُ يده في البحر فيلتقط السّمكة من قاعه ويشويها قرب الشمس .

أوْ ما كان مشتملا على سخافات وسماجات يُصانُ عنها العقلاء مثل: «الديك الأبيض حبيبي وحبيبُ جبريل ...»

ب ـ أو ما كان مخالفا لصريح القرآن بحيث لا يقبل التأويل مثل: «ولد الزنا لا يدخل الجنة الا سبعة أبناء»، فانه مخالف لقوله تعالى:

« وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ » الأنعام ١٦٤.

فهذا الحديث الموضوع مأخوذ من التوراة فهو حُكم من أحكامها .

جـ ـ ما كان مخالفا لصريح السنة المتواترة مثل: «إذَا حُدِّثْتُم عني بحديث يوافق الحقَ فخذوا به، حدَّثْتُ به أو لم أُحدِّث» فإنه مخالف للحديث المتواتر: «من كذب عليّ متعمدا فليتبوّأ مقعده من النار» .

د ـ أو يكُون مخالفا للقواعد العامة المأخوذة من الكتاب والسنة مثل: «من ولد له ولد فسمّاهُ مُحَمَّداً كان هو ومولوده في الجنة»، لأن النجاة بالاعمال الصالحة لا بالأسماء والألقاب .

هـ ـ أو يكون مخالفا لحقائق التاريخ المعروفة في عصر النبيّ صلى الله عليه وسلم مثل وثيقة اليهود الخيابرة الآنفة الذكر، فحقائقُ التاريخ ترد هذا الحديث، .

و ـ أن يتضمن الحديثُ أمْراً من شأنه ان تتوفر الدواعي على نقله لأنه وقع بمشهد عظيم ثم لا يشتهر ولا يرويه إلا واحد كحديث غديرخمّ فانه لا يجوز بل يستحيل عادة اتفاق جميع الصحابة على كتمانه وتفرد الروافض به.

ز ـ اشتمال الحديث على إفراط في الثواب العظيم على الفعل الصغير والمبالغة في الوعيد الشديد على الأمر الحقير، وقد أكْثَرَ القُصَّاصُ من مثل هذا اللون ترقيقا لقلوب العامة وإثَارَةً لتعجبهم .

بهذه العلامات الموضوعية إلى جانب المعنى الذوقي الفني الذي يستطيع به أهلُ هذا الفنّ تمييز ما كان حديثاً للرسول صلى الله عليه وسلم وما كان مُتَزَيِّداً عليه، قاوم علماء الحديث الوضع وكشفوا أهله .

وهذا يَرُدُّ مدعى أحمد أمين بأنّ اهتمام المحدثين في النقد انما كان منصرفا للسَّنَدِ دون المتن فقد قال: «ان المحدثين عُنُوا بالنقد الخارجي ولم يُعْنَوْا هذه العناية بالنقد الداخلي»(٩٣) وأيْن هذا من قول ابي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي (٥١٠ ـ ٥٩٧هـ) : «إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول، فاعلم انه موضوع»(٩٤) وهي ملاحظات تتعلق كلها بالمتن. والمعلوم أنَّ مناقضة الحديث للأصول يعني به خروجه عما هو ثابت في دواوين الاسلام من المسانيد والكتب المشهورة .

وبذلك يصح القول بأنّ علماء الاسلام سيا المحدثين فَوَّتُوا على الوضّاعين أهدافهم وإن استطاع هؤلاء الوضاعون (وقد تطوّرت حركتهم إلى حركةٍ مدرُوسة هادِفَةٍ تَعْمَلُ وَفْقَ خِطّة شاملة لها خطرها وآثارها ـ أن تكون لحركتهم بعضُ النتائج المباشرة على العديد من أجيال المسلمين في العديد من أقطارهم حيث أشاعوا ما لا يُحْصَى من الآراء الغريبة والقواعد الفقهية الشّاذة والعقائد الزائفة والافتراضات النظرية المضحكة التي روّجت لها وتعاملت معها فرق وطوائف معينة لبست مسوح الدروشة والتصوّف حينا والفلسفة حينا والعبادة والزهد أحيانا»(٩٥) .

إلا أنّ التيار الصحيح الذي يقوده المحدّثون وعلماء الاسلام الواعون استطاع تطهير الكثير من ذلك الطَمْي وإزالة الكثير من ذلك الصَّدأ، وبسرعة تدل على أكْثَرِ من معنى وعلى أكْثَرِ من تدبير إلاَهِيّ. جاء عن ابن المبارك ـ من رجال القرن الثاني ـ قوله: «لو هَمَّ رجُلُ في السّحر أن يكذب في الحديث لأصْبَحَ الناسُ يقولون : فلان كذّاب»(٩٦) .

---

(٩٣) ضحى الاسلام ١٣٠/٢ .

(٩٤) تدريب الراوي ٢٧٧/١ .

(٩٥) مقدمة موضوعات ابن الجوزي . لعبدالرحمن محمد عثمان ٩/١ .

(٩٦) الموضوعات لابن الجوزي ٤٩/١ .

المراجع في تمحيص الأحاديث :

بعد هذا الحديث المفصل عن الحديث الموضوع تبينّ لنا أنّ الوضع لا يخلو أمر اكتشافه من سبيلين :

ـ إما من خلال السّند أو من خلال المتن، ولذلك يتعينُّ على من يبغي تمحيص حديثٍ أن ينظر في كتب الرجال وفي كتب السنن والمسانيد، ذلك أنّ كُتُبَ الرجال تؤرخ للرُّواة وتُلقي عليهم من الأضواء ما يُيَسِّرُ معرفَة درجة كُلٍّ منهم من القُوَّةِ والضَّعْفِ. كما ان كتب السنن والأحاديث رتَّبَهَا العلماءُ حسب درجاتِ متونها، فمنها الصِّحَاحُ ومنها ما جَمَعتْ الى الصحيح الحسن وبعض الضعيف ومنها الضعاف .

فالذي ييسرّ على الباحث معرفة الضعيف والموضوع إنّما هو العودة الى :
ـ كتب الضعفاء وكتب الثقات والمجروحين في مجال السّند .
ـ وكتب الموضوعات في مجال المتن .

أهم كتب الضعفاء(٩٧) :

أَلَّف العلماء عدداً كبيرا من المؤلفات تناولُوا فيها الضعفاء والمجروحين والمتروكين من الرواة ، ونكتفي بذكر الكتب السّتّة التالية :

١ ـ الضعفاء والمتروكون لأبي عبدالرحمن النسائي (ت ٣٠٣ هـ) ذكر فيه خمسة وسبعين وستمائة راو ضعيف غير ثقة مرتّبين على حروف الهجاء وختمه بباب الكنى، وهو كتاب موجز جدّاً يكتفي فيه الإمام النسائي بذكر اسم الراوي وأبيه ونسبه وكنيته أحيانا مع تَجْرِيحِهِ بلفظة من ألفاظ التجريح كمتروك الحديث، ليس بالقويّ ليس بثقة، ليس بشيء، ضعيف متروك، ليس بذاك القوي.

٢ ـ كتاب المجروحين من المحدّثين والضعفاء والمتروكين لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ)، وقد أَلَّفَهُ على حروف الهجاء وذكر فيه الضعفاء الذين

---

(٩٧) انظر كتابي الجرح والتعديل ١٥٠ فما بعدها .

ضعفهم الأئمّة المرضيون فيذكر أسماءهم وأنسابهم وكناهم وأمثلة من مروياتهم الواهية وشهادات العلماء فيهم وهو مطبوع بحلب في ثلاثة مجلدات .

٣ ـ الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث ـ لأبي أحمد عبدالله بن محمد بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ) وهو أكمل الكتب المصنفة قبله وأجَلُّها وهو المرجع الذي لا غنى عنه للباحث في الضعفاء وقد أَلَّفَهُ بدوره على حروف الهجاء فيذكر اسم الراوي واسم أبيه ونسبته الى المصر أو القبيلة وقد يشير الى بعض شيوخه وتلاميذه، ويذكر شهادات العلماء فيه وقد يذكر حديثا فأكثر من غرائبه ومناكيره .

٤ ـ الضعفاء والمتروكون لأبي الحسين على بن أحمد بن المهديّ الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) وكان من كبار العلماء في الجرح والتعديل، رتّب كتابه على حروف المعجم وكانت أحكامه عمدة العلماء والدارسين .

٥ ـ ميزان الاعتدال لأبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) . وهو كتاب مرتب على حروف الهجاء حتى في الآباء ليقرب تناوله، وقد ذكر فيه كل من تُكُلِّمَ فيه ولو بأدْنَى تجريح ولذلك أوْرَدَ فيه حتى الرجال الذين خرّج لهم أصحابُ الكتب الستة .

وهو يذكر اسم المترجم له واسم أبيه، وكنيته ونسبته ولقبه ... وسَنَة وفاته أحيانا، ويذكر شيوخه وتلاميذه وشهادات العلماء فيه، وكثيرا ما يورد أمثلة من رواياته الواهية .

٦ ـ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) وقد ضمنه ميزان الاعتدال وزوائد ، وقد تميّز بنقد وتحقيق.

وهناك مؤلفات ضمّت الضعفاء، والثقات معاً وهي كثيرة جدا نذكر منها على سبيل المثال :

- كتاب التاريخ الكبير للامام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ألَّفه على الحروف الهجائية ، وقد فاز باعجاب النقاد حتى قيل فيه (إنه لم يسبق إليه ومن ألف بعدَهُ في التاريخ أو الأسماء أو الكنى فَعِيَالٌ عليه» .

- كتاب الجرح والتعديل لأبي عبدالله عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ) وقد ألّفَهُ على الحروف الهجائية يُعَرِّفُ بالراوي فيذكر اسْمَهُ واسْمَ أبيه ونسبته وكنيته ويذكر بعض شيوخه وتلاميذه ثم يشير إلى شهادات العلماء فيه .

أهمّ كتب الموضوعات :

وإذا كان اهتمامُ العلماء بجمع الحديث المقبول وشرحه والعناية برجاله كبيراً فإن عنايتهم بجمع الموضوع والضعيف والواهي لا تقل أهميّة عن جهودهم الأولى .

وإذا كانت الأحاديث الموضوعة في القرون الأولى مُدْرَجَة ضمن كتب الرجال والتواريخ، فانها منذ القرن الخامس أفردت في كتب خاصة ومنذ ذلك التاريخ لم تنقطع العناية بها حتى اليوم(٩٨) .

١ - تذكرة الموضوعات ، تأليف أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧ هـ) وقد اشتمل على الموضوع والواهي ونحوه .(٩٩)

٢ - كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، ويقال له كتاب الأباطيل لابي عبدالله الحسين بن ابراهيم الجوزقاني (ت ٥٤٣هـ) ويقال: هو أوّلُ من خصَّ الموضوعات بكتاب مَحَّضَهُ لها - وقد طالعه الذهبي واستفاد منه إلاّ أنَّهُ أشار إلى أنَّهُ يشتمل على الموضوع والواهي، كما حصلت له بعض الأوهام في حكمه على بعض الأحاديث بالوضع لمجرّد كونها معارضة لأحاديث صحاح وهو خطأ على ملحظ ابن حجر إلاّ إنْ تعذر الجمع(١٠٠) .

٣ - «الموضوعات» لأبي الفرج عبدالرحمٰن بن عليّ بن الجوزيّ ت ٥٩٧ هـ)، و يعتبر أكبر الكتب في هذا المجال وأعظمها، إلا أن بعض النقاد يأخذون عليه بعض المآخذ، من ذلك،

---

(٩٨) نال الأستاذ عمر بن حسن فلاته الدكتوراه في رسالته «الوضع في الحديث» من كلية اصول الدين بالأزهر وذلك سنة ١٣٩٧هـ - كما ان طالبا آخر بنفس الكلية سجل رسالة دكتوراه بعنوان (جمع الاحاديث الموضوعة المتفق عليها والمختلف فيها على حروف المعجم) .

(٩٩) الفوائد المجموعة - مقدمة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليانى ص ٦ .

(١٠٠) الرسالة المستطرفة ١١٢ .

أَنَّهُ تساهح فيه كثيراً بحيْثُ أورد فيه الضعيف بل والحسن والصحيح مما هو في سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومستدرك الحاكم وغيرها من الكتب المعتمدة بل ذكر فيه حديثا أورده مسلم في صحيحه(١٠١)، وآخر رواه البخاري في جامعه الصحيح ولذلك كثر الانتقاد عليه :(١٠٢) .

فقال الذهبي «ربما ذكر ابن الجوزي في الموضوعات أحاديث حسانا قوية»(١٠٣) وذكر أحمد بن أبي المجد ان ابن الجوزي «أصاب في ذكره أحاديث شنيعة مخالفة للنقل والعقل، وما لم يُصِبْ فيه أنه يطلق الوضع على أحاديث بكلام بعض الناس في أحَدِ رواتها كقوله: فلان ضعيف أو ليس بالقوي أو لينّ، وليس ذلك الحديث مما يشهدُ القلبُ ببطلانه ولا فيه مخالفة ولا معارضة لكتاب ولا سُنّة ولا إجماع ولا حجّة بأنَّـهُ موضـوع سوى كلام ذلك الرجـل في راويه»(١٠٤) .

ومما أخذه عليه صاحب الرسالة المستطرفة أيضا أنّه خلط بين المُعَلّ والموضوع مع تبايُن موضوعيهما، ذلك أنه أوْرَدَ بَعْضَ الأحاديث الموضُوعة في كتابه: «العلل المتناهية» كما أدْرَجَ بعض الأحاديث المعلة في كتاب الموضوعات، بل فان تصانيف ابن الجوزي الوعظية لم تَخْلُ من بعض الأحاديث التي أوردها في موضوعاته.(١٠٥)

وعلى كل فان ما ينتقد عليه بالنسبة الى ما لا ينتقد قليل جدا على ملحظ ابن حجر، وهو أمر أقلّ خطورة مما وقع فيه الحاكم في مستدركه حيث عدّ بعض الأحاديث الضعيفة صحيحة .

عمل ابن الجوزي فى كتابه الموضوعات :

ونظرا إلى ان كتاب الموضوعات يُعتبر من أهمّ المراجع في هذا الباب، فيحسُن بنا أن نقف في عُجالة على عمل ابن الجوزي فيه :

---

(١٠١) كتاب الجنة ـ باب النار يدخلها الجبارون ٢١٩٨/٤ (حديث ابي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن طالت بك مدة أوشك أن ترى قوما يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب الإبل» .

(١٠٢) الرسالة المستطرفة ١١٢ .

(١٠٣) ـ (١٠٤) تدريب الراوي ٢٨٠/١ .

(١٠٥) الرسالة المستطرفة ١١٢ .

قدم ابن الجوزي لكتابه الفريد هذا باثني عشر فصلا تعتبر من الأصول الأساسية في معرفة الحديث الضعيف والموضوع .

فقد تحدّث عن فُشُوّ الجهل وكيف أنه يصحب ذهَابَ العلماء الحقيقيين مما يترتب عنه فسادُ عقيدة الجماهير وتدهور القيم والمفاهيم عندهم نتيجة دروس الشريعة وتضييع حدُودها .

وتحدّث في الفصْل الرابع عن أقسام الحديث وجَعَلَها ستة:

١ ـ ما اتفق عليه الشيخان، وقد تولىّ في هذا الفصل الرد على الحاكم وتفنيد مُدَّعَاه بأن الشيخين اشترطا أن يكون لكل راو راويان عدلان يرويان عنه لقبول روايته، فقال ابن الجوزي: بان الشيخين لم يشترطا ذلك وإنما قَدَّرَهُ الحاكم في نفسه فغلط ظنه، وأتى بأمثلة من أحاديث الصحيحين مما كان لها راو واحد .

٢ ـ ما نفرد به أحدُ الشيخين .

٣ ـ ما كان على شرط أحدهما ولم يخُرجاه، وقد أورد الحاكم النيسابوري في المستدرك هذا النوع من الحديث .

٤ ـ الحسن: وهو ما كان ضعفه قريبا محتملا وهو صالح للعمل، وكان الامام أحمد بن حنبل يقدمه على القياس .

٥ ـ الشديد الضعف الكثير الترلزل .

٦ ـ الحديث الموضوع المقطوع بكذبه .

ثم ينتقل إلى الفصل الخامس فيتناول فيه الحديث عن حُكْمِ كُلٍّ قسم من تلك الأقسام، فيبينّ ان الاقسام الأربعة الأول هي من الحديث المقبول المعمول به، ا ما القسم الخامس فمن المردود، وقد جمع أكثره في كتابه: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية في حين خص النوع الأخير بكتابه الموضوعات، وقد اعتمد فيه الاختصار بترك ما لا يخفى أنه موضوع، وباختصار متن الموضوع عينه لطوله وركاكة ألفاظه ـ شحا على الزمان أن يذهب فيما ليس فيه كبير فائدة ـ كما يقول ابن الجوزي ـ[١٠٦] .

---

(١٠٦) الموضوعات ٣٥/١ .

أما في الفصل السادس فقد فصّل القول في أقسام الرواة الضعفاء والوضاعين مبينا مشاربهم مستظهرا باعترافات بعضهم مستشهدا ببعض موضوعاتهم.

ثم استعرض في الفصل السابع بعض كبار الوضاعين ممن زخر بأسمائهم كتابه الضعفاء والمتروكون أمثال :

- محمد بن سعيد المصلوب الشامي .
- محمّد بن السائب الكلبـــي .
- إسحاق بن نجيـح الملطــي .
- غياث بن إبراهيم النخعـي .

وذكر في الفصل الثامن كيف أنّ الوضاعين كتب الله عليهم الفضيحة سلفا وأنّ واحدا منهم لم يفلت من سياط النقد التي ألهبت ظهورهم في الدنيا فضلا عما ينتظرهم في الآخرة من العذاب المقيم أمَّا في الفصل التاسع فقد أشار إلى بعض الوضاعين الذين ثاب إليهم رُشْدُهم، فاعترفوا بذنبهم وطلبوا من الله الصفح والغفران .

ومَحَّضَ الفصلَ العاشر للحديث عن إجْمَاعِ العلماء على ان كشف الوضاعين والقدح فيهم ليس من الغيبة ، بل من الواجب .

ثم عقد فصلا آخر هو الفصل الحادي عشر بَيَّنَ فيه منهجه في كتابه الذي قَسَّمَهُ إلى كتب، وجزّأ الكتب إلى أبواب، وقد رتّبه على المعاني أو الأبواب الفقهية تسهيلا على الطلاب والدارسين .

وقد آل ابن الجوزي على نفسه أن يذكر كل حديث باسناده ويُبينّ علته والمتّهَمَ بِهِ ، وألَحَّ رحمه الله على من يروي من كتابه حديثا أن يصحبه بما هو وَصْفُه من القدح والذمّ حتى لا يختلط أمره على من لا يعرفه، ومن لم يفعل ذلك فهو خائن للشرع، ونعى كثيرا على أولئك الذين رووا الأحاديث الموضوعة دون أن يبينوا حالها للناس واعتبر ذلك الصنيع من الخطإ القبيح والجناية على الإسلام.

وفي الفصل الأخير وهو الفصل الثاني عشر يشير مجرد إشارة إلى عناوين الأبواب الأربعة الكبرى التي يتضمنها كتاب الموضوعات:

ـ الباب الأول: في ذمّ الكذب .
ـ الباب الثاني: في حديث من كذب عليّ متعمّدا، حيث ذكر طرق الحديث وعدد من رواه من الصحابة والكلام في معناه وتأويله .
ـ الباب الثالث: في الأمر بانتقاد الرجال والحذر من الرواية عن الكذابين والمجهولين .
ـ الباب الرابع: ما اشتمل عليه الكتاب من كتب .

وقد ضم كتابُ الموضوعات اثنين وخمسين (٥٢) كتابا فرعها الى تسعة وثمانين وسبعمائة (٧٨٩) باب. وبدأه بكتاب التوحيد وختمه بكتاب المستبشع من الموضوع على الصحابة .

وهكذا يتبينّ لنا أنَّ هذا الكتاب يعتبر من الوثائق الهامة في علم الحديث والأحاديث الواهية، ولذلك كان وما يزال ـ بالرغم مما أُخِذ عليه ـ المُشرَعَ المُهِمَّ لكلّ من يَنْظر في الموضوعات، ولأَهَمِيّتِهِ كان محط أنظار العديد من العلماء والنقاد تعقيبا وتذييلا وتلخيصا ودرسا، فكان سببا لظهور حركة علمية مباركة كان من ثمارها عَدَدٌ من الكتب والمؤلفات القيمة، أخرجها رجالٌ هم من خِيرَةِ العلماء .

٤ ـ «كتاب المغني عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصحّ شيء في هذا الباب» .

ـ «العقيدة الصحيحة في الموضوعات الصريحة» وكلاهما للحافظ ضياء الدين أبي حفص عمر بن بدر بن سعيد الموصلي (ت ٦٢٣ هـ)، وقد أخذ عليه بعض العلماء وصفه لبعض الأحاديث بانها لا أصْلَ لها، لأنها في حقيقتها ليست كذلك .

٥ ـ رسالتان جمع فيهما مؤلفهما رضِّي الدين بن أبي الفضل الحسن بن محمد بن الحسن العمري الصاغاني (ت ٦٥٠هـ)، كثيرا مما ليْس بموضوع فعُدَّ لذلك من المتشدّدين كابن الجوزي .

٦ ـ النكت البديعات في الردّ على الموضوعات «الفه جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تعقيبا على الموضوعات، ثم اختصر رحمه الله النكت البديعات في كتاب سماه :

- «التعقُبَات على الموضوعات»، والملاحظ أنّ عدة الأحاديث المتعقبة عليه ثلاثمائة ونيف»[١٠٧] ثم لخّص كتاب الموضوعات لابن الجوزي في كتاب سمّاه :
- «اللآلـئ المصنوعة في الاخبار الموضوعة» وزاد عليه بعض الموضوعات، ثم كتب ذيلا على اللآلـئ سماه: «ذيل اللآلئ» .

٧ ـ «الفوائد المجموعـة في بيان الأحـاديث الموضوعـة» لمحمـد بن يوسف الشامـيّ (ت ٩٤٢هـ) .

٨ ـ «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» لأبي الحسن عليّ بن محمد بن عراق الكناني (٩٦٣ هـ)، جمع فيه بين موضوعات ابن الجوزي والسيوطي (اللآلئ وذيله)، وقد رتّبه على الأبواب وقسّم الأبواب الى فصول ، وكان قد أهداه الى السلطان سليمان خان .[١٠٨]

٩ ـ «تذكرة الموضوعات» لجمال الدين محمد بن طاهر الصديقي الفتني الملقـب بملك المحدثين بالهند (ت ٩٨٦هـ) جَمَعَه مِنْ كُتُب السيوطي وغيرها .

١٠ ـ «تذكرة الموضوعات» لأبـي الحسـن عليّ بن محمـد المعـروف بالملا علي قاري (ت ١٠١٤)، وله إلى جانب هذا الكتاب رسالة تسمى: .

ـ «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» وعليه فيها مؤاخذات .

١١ ـ مختصر اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي أَلَّفَهُ أبو الحسن علي بن أحمد الفاسي (ت ١١٤٣هـ) .

١٢ ـ الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي لمحمد بن محمد بن محمد الحسيني الطرابلسي السَّنْدَرُوسِي (ت ١١٧٧هـ) .

١٣ ـ الدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات» وهو اختصار لكتاب الموضوعات لابن الجوزيّ الفه محمد بن أحمد الإسفراييني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ) .

---

(١٠٧) الرسالة المستطرفة ١١٣ .

(١٠٨) المصدر السابق نفس الصفحة .

١٤ ـ الفوائد المجموعة في الآحاديث الموضوعة» لأبي عبدالله محمد بن عليّ الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) وقد أُخذ عليه تشدُّده حيث أدرج في كتابه ما هو ضعيف فاعتبره موضوعا .

١٥ ـ كتاب «الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» لأبي الحسنات محمد عبدالحيّ اللكنوي الهندي (١٢٦٤ ـ ١٣٠٤) .

١٦ ـ «اللؤلؤ المرصوع فيما قيل لا أصْلَ لَه أوْ بأصْله الموضوع» لأبي المحاسن محمد بن خليل القاوقجي (ت ١٣٠٥هـ) .

١٧ ـ تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين» لابي عبدالله محمد البشير ظافر (ت ١٣٢٥هـ) .

هذه جملة من كتب الموضوعات وثمّت غيرها لا شك، وهي تدُلّ على أنَّ كل جيل من أجيال المسلمين له علماؤه المنافحون عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فجهودُهم متواصلة لتنقية حديث الرسول مما شَابَهُ من الدخيل ولرد تهافُت المتهافتين للعُدْوان على المصدر الثاني للتشريع .

نموذجان من الوضاعين :

يستحسن بنا قبل اختتام هذا البحث أن نعرف بأنموذج أو اثنين من الوضاعين، حتى تكتمل الصورة، وحتى يدرك مزيفو الحق وتجار العدوان على الفكر الإسلامي النقي ومصادر تشريعه المبرأة من الهوى أنّ مآلَهُم ومآلَ تخرصاتهم التعرية وإسقاط الأقنعة عن وجوههم القبيحة، تماما مثل ما وقع لمحمد بن السائب الكلبيّ ومحمد بن سعيد المصلوب وكل منهما عنوان بارز من عناوين الوضع والافتراء على دين الله القويم :

١ ـ محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبدالعزى الكلبي أبو النضر الكوفي المولود بالكوفة والمتوفي بها سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م، وهو نسَّابَـةٌ راوية عالم بالتفسير والأخبار وأيَّام العرب، إلا أنّ سعة معارفه لم تحُل دون انحرافه وانحداره في بؤرة السَّبَئِيَّة الخطرة بمبادئها المخالفة للإسلام وتجويزها للكذب وتشجيعها عليه حتى سُمِّي أتباعُها كذابين كما يقول «الأعمش» لكثرة أكاذيبهم .

ويبدو أنه كان يعلن عن انتسابه الى السبئية على رؤوس المَلأَ دون أيِّ حياءٍ أو تقية، فهذا همّام بن منبه يقول: سمعتُ الكلبي يقول: أنا سبائي وهو يؤمن بكل مبادئها فيعتقد أنَّ عليا لم يمت وأنه في السحاب حتى أنه يقول إذا رأى سحابة : أمير المؤمنين فيها، كما يؤمن بان عليا سيرجع الى الدنيا ويملؤها عدلا كما ملئت جورا .

وقد اشتهر الكلبي برواياته المزيفة في التفسير والحديث عن أبي صالح* عن ابن عباس، والملاحظ أن أبا صالح لم يَـرَ ابن عباس، كما أنّ الكلبي لم يسمع من أبي صالح إلا الحرف أو الحرفين ، لكن لما احتيج إليه، أخرجت إليه الأرض أفلاذ أكبادها كما يقول ابن حبان في كتاب المجروحين.

ورغم انه اعترف فيما يرويه عنه سفيان الثوري أنّ أبا صالح قال له: انظر كل شيء رويتَ عني عن ابن عباس فلا تروه، فانه سدر في غيّه واسترسل في أكاذيبه الشنيعة .

ومن أكاذيبه التي تُلزمه الكفر قوله: «إن جبريلا كان يملي الوحي على النبيّ صلى الله عليه وسلم فلما دخل النبيٍّ عليه الصلاة والسلام الخلاء جعل يُملي على عليّ» .

ومن اكاذيبه التي رواها يسنده الواهي عن أبي صالح عن ابن عباس: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن مولود وُلِدَ لهُ قُبُل ودُبُر: من أين يوَرَّثُ ؟ قال. من حيث يبول .

ومن أكاذيبه السخيفة أنه قال: مرضت مرضة فنسِيتُ ما كنت أحفظ فأتيتُ آل محمد فتفلوا في فِـيَّ فحفظت ما كنتُ نسِيتُ .

وأكاذيبه المفضوحة وانحرافاته العقائدية جعلت ابن حبان يقول عنه: مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهَرُ من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه. ومن هنا قال الذّهبي: لا يَحِلُّ ذكره في الكتب فكيف الاحتجاج به ؟

واتفق ثقات أهل النقل على ذَمِّهِ وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع، وأيُّ زجـر

(*) هو باذام ويقال باذان أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب روي عن عليّ وابن عباس وأبو هريرة ... قال ابن حيان: يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه .

للكذابين أشَدُّ إيلاَماً من إسْقَاطهم من مرتبة الثقة والعدالة، وتحويلِهِمْ إلى مُسُوخ يُتَقَرَّبُ إلى الله بِمُجَافَاتِهِمْ والإشاحة عنهم(١٠٩) .

٢ ـ محمد بن سعيد بن حسن بن قيس الأسدي المصلوب الشاميّ من أهل دمشق(١١٠)
عاش محمد بن سعيد المصلوب في بيئة ازدهرت فيها الملل والنحل الأمر الذي مكن للزندقة من أن تجِد لها موطِئ قدم وسط ذلك المحيط المربدّ، وقد اسْتهوَتْ الزندقةُ مُحَمَّد بن سعيد المصلوب فاختار أن يكون أحَدَ معاولها الهدمية، مما حمل أبا جعفر المنصور على القبض عليه وصلبه عقابا له فسمّي بالمصلوب .

والمصلوب وان أخذ العلم عن عدد من خيرة العلماء كنافع مولى ابن عُمَر والزهري ومكحول الشاميّ وغيرهم إلاَّ أنَّ روح الإفساد كانت مستحكمة من نفسه، فاستخدم معارفه الحديثية وغيرها في الوضع والتدليس حتى قيل إنَّهُ وضع أربعة آلاف حديث .

ومن عجيب أمره أنَّهُ كان يعلن صراحة أنَّهُ كان لا يرى بأسا من وضع سَنَدٍ لكل كلام حسن مخالفا الحديث المتواتر: «من كذب علي مُتَعَمِّداً فليتَبَوّأْ مقعده من النّار» وحديث «من حدّث بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين» .

وقد كتب عليه تصرُّفُه هذا الخزي والعار الى يوم يبعثون حيث صار عَلَماً من أعلام الكذب الذين يُشَار اليهم بسبابة الامتهان والاحتقار :

قال الحاكم النيسابوري: هو ساقط، لا خلاف بين أهل النقل فيه. وقال النسائي: الكذابون المعروفون بوضع الحديث أربعة:

ـ إبراهيم بن أبي يحيى بالمدينة ـ الواقدي ببغداد.

---

(١٠٩) انظر ترجمة الكلبي في الضعفاء الصغير ١٠١، عدد ٣٢٢ ـ كتاب الصعفاء والمتروكين للنسائي ٩١ ، عدد ٥١٤ ـ كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان ٢٥٣/٢ ـ ميزان الاعتدال ٥٥٦/٣ عدد ٧٥٧٤ ـ تهذيب التهذيب ١٧٨/٩ عدد ٢٦٦ (ت، فق) ـ تنزيه الشريعة المرفوعة ١٠٥/١ ـ عدد ١٢٧ ـ الاعلام للزركلي ٣/٧.

(١١٠) انظر ترجمته في: الضعفاء الصغير ١٠٠ عدد ٣٢٠ الضعفاء والمتروكون للنسائي ٩٢ عدد ٥١٨ كتاب المجروحين من المحدثين لأبن حبان ٢٤٧/٢ ـ ميزان الاعتدال ٥٦١/٣ عدد ٧٥٩٢ تهذيب التهذيب ١٨٤/٩ عدد ٢٧٧ (ت ، ق) .

ـ مقاتل بن سليمان بخراسان ـ محمد بن سعيد المصلوب بالشام .

وأصبح ذكر المصلوب مَدْعَاة لكلّ شرٍ حتى أنّ ابن حبان قال: لا يحلّ ذكره إلا على وجه القدح فيه .

إلاَّ أنَّ بعض المدلسين كانوا يُغَيِّرُونَ اسمه على وجوه عدّة حتى بلغت مائة اسم وزيادة ، فقيل عنه: محمد بن حسّان نسبة الى جدّه ـ ومحمد بن أبي حسّان ـ محمد الطبري ـ محمد الأُرْدُنِيّ ـ محمد الشاميّ ... وقد جمعها عبدالله بن أحمد بن سوادة في كتاب. وفي جمعه لهذه الكُنَى والألقاب والأنساب المزيفة دليل آخر على أنّ للسنة جهابذة قيضهم الله لكشف الوضع والتدليس مهما تحذلق الوضاعُون وتَسَتَّرَ المُدَلِّسُون.

نتائج البحـــث

ومن أهم النَّتائج التي يمكن اسْتِخْلاصُهَا من هذا الحديث:

١ ـ أن العلماء المسلمين هم الذين اكتشفوا الوضع ووقفوا على الموضوعات، وعرَّوْا الوضاعين وهزموهم .

٢ ـ أن الأحاديث الموضوعة لا صلة لها بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جمعه علماءُ الأمة في الكتب الصحاح ودواوين السُّنَّة المعتبرة، وبذلك نُدرك أن الذين يُحَاولون التشكيك في السُّنَّة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بِنَاءً على وُجُود الموضوعات إنّما يَصْدُرُون في آرائهم وشُبَهِهِمْ عن الجَهْل بحقيقة المَوْضُوعـات ومَوْضِعِهـا مِنَ السُّنَّـةِ الصّحيحة .

٣ ـ أن العلماء المسلمين نَقدُوا الحديث سنداً ومتنا وليس صحيحا ما ادَّعاهُ بعضُهم مِنْ أنَّ عناية المسلمين إنَّما اتَّجَهَتْ نحو النَّقْدِ الخارجّي ـ أي نقد السّند ـ وقد وضَعُوا بالإضافة إلى ذلك علم الجرح والتّعديل الذي تُعْتَبَرُ قواعِدُهُ وأُصُولُه من أدقّ مناهج البحث العلمي الّتي توصَّل إليْها العلماءُ حتى اليوم .

المراجـع

- القــرآن الكــريم .

١ ـ إحياء علـوم الـدين ـ للغـزالي ـ طبعـة مصطفــى البابــي الحلبــي ـ القاهــرة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م .

٢ ـ الإسرائيليات في التفسير والحديث لمحمد حسين الذهبي ـ مجمع البحوث الإسلامية السنة الثالثة ـ الكتاب السابع والثلاثون شعبان ١٣٩١هـ/ اكتوبر ١٩٧١م .

٣ ـ الأعلام لخير الدين الزركلي ـ ط٤ ـ بيروت .

٤ ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للحافظ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي ـ حققه وعلق عليه بالانجليزية فرانز روزنطال ـ ترجم المقدمة والتعليقات د. صالح احمد العليّ ـ مطبعة العاني ـ بغداد ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ـ

٥ ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ـ للحافظ ابن كثير ـ تاليف احمد محمد شاكر ـ ط ٣ مطبعة صبيح ١٩٥٨م .

٦ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبّي (ت ٥٩٩هـ) المكتبة الأندلسية . ـ دار الكاتب العربي ١٩٦٧ القاهرة .

٧ ـ تاريخ التراث العربيّ لِفؤاد سزكين ـ نقله الى العربية د. فهمي ابو الفضل ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة ١٩٧١م .

٨ ـ تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي ابن الفرضي (ت ٤٠٣هـ) المكتبة الاندلسية عدد ٢ الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦ القاهرة .

٩ ـ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ـ دار الجيل ـ بيروت ١٣٩٣ هـ .

١٠ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لجلال الدين السيوطي ـ حققه عبدالوهاب عبداللطيف ـ ط٢ ـ ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م دار الكتب الحديثة. مصر .

١١ ـ التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح لزين الدين عبدالرحيم العراقي حققه عبدالرحمن محمد عثمان ـ ط١ ـ ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

١٢ ـ تمييز الطيب من الخبيب فيما يدور على ألْسِنَة الناس من الحديث للامام عبدالرحمن بن علي ابن الدَّيْبَع (ت ٩٤٤ ـ ٩٥٠هـ) ـ مكتبة صبيح ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ـ .

١٣ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة للمحدث الناقدابي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني (ت ٩٦٣ هـ) تصحيح وتعليق عبدالله بن الصديق الغماري وعبدالوهاب عبداللطيف ـ مكتبة القاهرة ـ

١٤ ـ تهذيب التهذيب ـ لابن حجر العسقلاني ـط ١ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بحيدرآباد ١٣٢٥هـ .

١٥ ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لابي عبدالله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي الحميدي (ت ٤٨٨هـ) الظاهري ـ المكتبة الأندلسية عدد ٣ ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ـ القاهرة ـ .

١٦ ـ الجرح والتعديل ـ أبو لبابة حسين ـ ط ١ ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دار اللواء للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ .

١٧ ـ الحديث والمحدثون لمحمد محمد أبي زهو ـط١ ـ ١٣٧٨هـ/١٩٥٨ مصر .

١٨ ـ دفاع عن الحديث لجماعة من نوابغ العلماء ـ الناشر زكريّاء على يوسف ـ مطبعة الامام ـ القاهرة ـ .

١٩ ـ الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتَّانِي ـ ط ١ ـ ١٣٣٢هـ بيروت نشر مكتبة عرفة بدمشق .

٢٠ ـ سنن ابن ماجه ـ حققه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي ـ عيسى الحلبي ـ .

٢١ ـ صحيح البخاري متن فتح الباري ـ مصطفى الحلبى ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .

٢٢ ـ صحيح مسلم حققه ورتبه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي ، عيسى الحلبي ـ ط١ ـ ١٣٧٤هـ : ١٩٥٥م .

٢٣ ـ ضحى الاسلام لأحمد أمين ـ ط٧ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤م .

٢٤ ـ الضعفاء الصغير للامام البخاري ـ تحقيق محمود ابراهيم زائد ـ دار الوعي بحلب ط١ ـ غرة محرم ١٣٩٦هـ .

٢٥ ـ الضعفاء والمتروكون لأبي عبدالرحمن النسائي ـ تحقيق محمود ابراهيم زائد ـ دار الوعي بحلب ـ ط ١ ـ غرة محرم ١٣٩٥هـ .

٢٦ ـ طبقات الحفاظ ـ جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ . تحقيق على محمد عمر ـ الناشر

مكتبة وهبة عابدين مصر ـ رجب ١٣٩٣هـ/أغسطس ١٩٧٢م .
٢٧ ـ فتح المغيث شرح الفية العراقي ـ للسخاوي ـ تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ـ نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
٢٨ ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة لمحمد بن عليّ الشوكاني ـ تحقيق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ـ ط ١ ١٣٨٩هـ/١٩٦٠م ـ .
٢٩ ـ القاموس المحيط للفيروزآبادي ـ ط ٢ ـ ١٣٧١هـ/١٩٥٢م مصطفى الحلبي .
٣٠ ـ الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادي ـ تقديم محمد الحافظ التيجاني ط ١ الناشر دار الكتب الحديثة .
٣١ ـ المجروحون من المحدثين والضعفاء والمتروكين ـ لابي حاتم ابن حبان البستي تحقيق محمود إبراهيم زائد ـ دار الوعي بحلب ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
٣٢ ـ المدخل الى دلائل النبوة للبيهقي ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ مطبوع في أول دلائل النبوة .
٣٣ ـ المقدمة لابن خلدون ـ ط ٣ ـ بيروت ١٩٧٦م .
٣٤ ـ الموضوعات ـ لابي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي القرشي (ت ٥٩٧ هـ) تقديم وتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ـ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ـ ط١ ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
٣٥ ـ ميزان الاعتدال للذهبي ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ ط ١ ـ ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م ـ عيسى الحلبي ـ
٣٦ ـ هَدْيُ الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر العسقلاني ط ١ ـ ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م (مصطفى الحلبي) .
٣٧ ـ الوضع في الحديث ـ لعمر بن حسن عثمان فلاته ـ مكتبة الغزالي دمشق مؤسسة مناهل العرفان بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م .